ادمُوند هُوسِّرل
والمنهَج الفِنُومينُولوجِىّ
"فلسفَة الظَّواهِر"

دكتور

عرفه عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن النَّادى

مدرّس بقسم العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين – القاهرة

١٤٣٩هـ- ٢٠١٧-٢٠١٨م

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد،،،

فقد تعدَّدت الاتجاهات الفلسفية أثناء معالجة أصحابها لمسائل الفلسفة ومباحثها، وكثُرت الآراء في ذلك، مع تأثُّر اللاحق بالسابق، إما مع تأييدٍ لآرائه، والسَّير فى ظِله، أو مع تناوُل آراء السابق بالنقد، والاعتراض على ما يكون محلًّا للاعتراض، وقبول ما لا اعتراض عليه، ومن مظاهر هذا الاتجاه الأخير، الذي يحلِّل ويَنقُد كثيرًا من الآراء السابقة عليه، خاصةً فى "مبحث المعرفة"، ظهر "المنهج الفنومينولوچي = المنهج الظاهري"؛ الذى أبرزَه وفصَّله ونشرَه: الفيلسوف الألمانيُّ "ادمُوند هُوسِّرل"؛ فقد أضاف مباحثَ تتَّسم بالطَّرافة فى هذا المجال، مع ما عُرف عنه من غزارة الإنتاج الفلسفي، وعُمق الفكرة، ودقة المصطلح، ورُوح النقد الموضُوعيّ.

ومما دفعني إلى الكتابة عن "الفنومنولوچيا": الروح النَّقدية التى تميَّزت بها فلسفة "هوسرل"، ومناداته بضرورة "إصلاح الفلسفة"، وإعادتها إلى دَورها الأساس. وأيضا الأثر البارز لـ "هوسرل" على كثيرٍ من التيارات والفلسفات من بعده، كـ "الوُجودية" وغيرها، وسيأتى شرح ذلك فى محله.

وفى هذا البحث، أحاول التعريفَ بالمنهج "الفنومينولوچى"، ورائده الأشهر – "هوسرل" –، مع عرض أبرز جوانب هذا المنهج، باختصار غير مخلٍّ، فتناولتُ الكلامَ على: التعريف بهذا المنهج وأبرز فلاسفته، خاصةً "هوسرل"، وتأثيره فى الفلسفة المعاصرة، وتطوُّر تفكيره الفلسفيّ، وعرَّفتُ بـ "نظرية القَصديَّة" وصِلَتها بالأحكام المنطقية، و"الوَصفيَّة" عند

"هوسرل"، كما تناولتُ مصطلحَ "الأشياء ذاتها" عند "هوسرل"، وصِلة ذلك بـ "المعرفة"، وختمتُ: بذكر أهم الانتقادات على فلسفته.

واتبعتُ في بحث وعرض هذه الجوانب من فلسفة "هوسرل": المنهجَ التحليليَّ النقديَّ؛ فأتعرضُ لموضع البحث بشرحه، مع نقدٍ أو تعقيبٍ على ما يتطلب نقدًا أو تعقيبًا.

واللهَ – تعالى– أسألُ أن يجعلَ هذا العملَ خالصًا لوجهِه الكَرِيم.

التعريف بـ "الفنومينولوچيا" أو "المنهج الظاهري"

إن من أبرز الاتجاهات فى الفلسفة: "المثالية" و"المادية"؛ فالمثالية: هى التى تردُّ الوجودَ إلى الفكر – البشريّ –، وترى: أن الأشياء الواقعيةَ ليست شيئًا غير أفكارنا[١]. وهى تشكِّك فى وجود الواقع، وتشكك كذلك فى أنه مستمرُّ الوجود، وتشكك فى تأثيره في الذات، وهذا يُنتج حتمًا: القولَ بأن "الوعىَ" أو "الشعورَ"[٢] هو الخالقُ الفعليُّ لكل ما نرى فى الوجود الخارجي[٣].

وأما "المادية": فمِن أبرز سِمات الفلسفة المعاصرة، وهى تعنى: عدمَ المَيل إلى التجريد الميتافيزيقي، بقدر المَيل إلى الماديِّ والطبيعيِّ والمحسوس عامةً[٤]. وهى تنظر إلى "الشعور الإنساني"، على أنه

---

(١) راجع: المعجم الفلسفي، د/ جميل صليبا، ج١ ص ٣٣٧، ٣٣٩، نشر: دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة- بيروت، ١٩٨٢م. ونظرات فى الفلسفة الحديثة، د/ أحمد عبده حموده الجمل، ص١٩٦-٢٠٤، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٢) المراد بـ "الشعور" هنا: (التجربة. أو الحالة العقلية الإدراكية). فلسفة المحدَثين والمعاصرين، تأليف: أ/ وولف، نقله إلى العربية: د/ أبو العلا عفيفى، ص١٤٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م. وانظر: النفسانية المنطقية عند جون ستيوارت مل، تأليف: عبد الفتاح الديدي، ص٥٤، ١٧٢، ١٩٤، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م.

(٣) راجع: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، د/ يحيى هويدي، ص٢٤١، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٨١م.

(٤) نظرات فى الفلسفة الحديثة، ص٣٦، ١٣٢ باختصار. وراجع: أُسس الفلسفة، د/ توفيق الطويل، ص٢٤٠-٢٤٦، دار النهضة العربية، ط٧، ١٩٧٩م.

انعكاسٌ للموجودات الخارجية مطلقا، وتفسَّر هذه الموجودات على أساس الأنشطة الإنسانية، وهذا يجعلنا نقول: إن الأنشطة الإنسانية محدودةٌ، فجعلُها أساسًا للموجودات، يُودِى إلى طريقٍ مسدُودٍ غير مُجدٍ.

إزاء إخفاق المثالية والمادية – كما ذكرتُ –، برَز طريقٌ ثالثٌ لبعض الفلاسفة، يسعَى إلى قيادة الفكر الفلسفي فى ظِله، لا يستند إلى مثالية ولا إلى مادية، بل يبحث «من جديد عن "فلسفة جديدة"، تكون بمثابة "علم البدايات"، على حد تعبير "هوسرل" نفسه»[1]، وسنرى فيما بعد، أن هذا الطريق – الثالث – تأرجحَ بين المثالية والمادية. هذا الطريق – الثالث – هو المسمَّى بـ "الفنومينولوچيا"، الذى تعهَّده ونشره: الفيلسوفُ الألمانىُّ "ادمُوند هُوسِّرل".

ولِلَفظة "فنومينولوچيا" معنيان: حرفىٌّ، واصطلاحىٌّ؛ فالحرفىُّ: "البحثُ فى الظواهر".

والاصطلاحيُّ: «البحث الوصفىُّ لطائفةٍ من ظواهر الأشياء – مع مراعاة التطور التدريجي لها، ... وبعبارة أخرى: حصْر الذهن فى كل ما هو واقعٌ فى الزمان أو المكان أو فى كلَيهما»[2]، ففلسفة "هوسرل": هى "<u>البحث فى الظواهر</u>".

خلافًا لمذهب الـ "فنومينالزم"؛ الذي فُسر بمعنيَين: أوَّلهما: القول بأنَّا لا نعرف شيئًا عن حقائق الأشياء ذاتها، بل لا نعرف سوى ظواهرها فقط، ويمكن ترجمة هذا المعنى: بـ "<u>بحث ظواهر الأشياء</u>". وثانيهما: أن ما

---

(١) دراسات فى الفلسفة المعاصرة، د/ زكريا إبراهيم، ج١ ص٣١٩، مكتبة مصر، بدون تاريخ.

(٢) تعليق د/ أبى العلا عفيفي، على كتاب: فلسفة المحدَثين والمعاصرين، ص١٤٢.

نعلمه "ظواهر" ليس إلا، ومع ذلك فهذه الـ "ظواهر": هي الشيء الحقيقي الموجود.

ويعنون بلفظة "الظاهرة": الحقيقةُ الواقعةُ أمام العقل المشاهَدة له، إما بطريق مباشر، أو استنتاجًا، وعليه فلا حاجة، بل ولا قيمة للبحث عن "الأشياء فى ذاتها" عندهم؛ لأنه بحثٌ عن وجود شيء لا علاقة له بالعقل. ويمكن ترجمة هذا المعنى: بـ "بمذهب القائلين بالظواهر. وأنصار المعنى الأول: لا ينكرون الأشياءَ ذاتَها، لكنهم ينكرون قدرتَنا على العلم بها. بينما يُنكر أنصار المعنى الثاني: كلا الأمرَين؛ أعنى: الأشياءَ ذاتها، وقدرتنا على معرفتنا بها. وهذان الاصطلاحان: ليس لهما شهرةً ولا شيوعًا فى الفكر الفلسفي(١).

فـ "الفنومينولوچيا" هى "فلسفة الماهية"؛ إذ "الماهية" هى موضوعُها، خلافًا لفلسفة القرن التاسع عشر في الغرب، التي تنكر وجودَ الماهية، وتنكر إمكانَ معرفتها(٢). وهى بحثٌ فى الظواهر، وهذا البحث من طرق

(١) راجع: تعليق د/ أبى العلا عفيفي، ص١٤٢.

(٢) راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، تأليف: إ. م. بوشنسكي، ترجمة: د/ عزت قرني، ص٢٢٠، ٦٥، الكويت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م. أسس الفلسفة، ص٣٣٦. دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣١٩، ٣٢٣. وبعد "هوسرل": استَخدم "فلاسفة الوجودية" مصطلحَ "فنومينولوچيا"، بَعد مدِّه إلى عدة ميادين. وراجع عن استخدام كلمة "فنومينولوچيا" و"فلسفة الظواهر" قبل "هوسرل": تاريخ الفلسفة الحديثة، أ/ يوسف كرم، ص٤٦١، دار المعارف، ط٦.

البحث فى "المعرفة"، بل يُعدُّ ((محاولةً علميةً من أجل معرفة المعرفة))[1]، وتحمل مهمةَ تقديم نقدٍ جديدٍ للمعرفة، يتحرَّى الدقةَ بقدرٍ أكبر مما وُجد عند أبرز الفلاسفة السابقين، وسُميت أيضا: بـ "الفلسفة الأولى"؛ لأنها موجَّهةٌ بالمقام الأول صَوبَ الدعائم الأولى للمعرفة.

أبرز مؤسِّسي المنهج الفنومينولوچي

تمتدُّ جذُور هذه الفلسفة: إلى بعض فلاسفة القرن التاسع عشر الميلادي، خاصة "فرانز برنْتانو[2]"، و"الكسس مَيْنُونج، ١٨٥٣م-١٩٢٧م".

<u>أما "برنتانو":</u> فله أثرٌ ودورٌ أساسٌ فى تأسيس "المنهج الفنومينولوچي"؛ فقد نبَّه: إلى أن العمليات العقلية بلا استثناء، تشير إلى "موضوعٍ" من الموضوعات، وهْميًّا كان الموضوع أو حقيقيًّا، على اختلاف نوع العمليات العقلية، ما بين إدراكٍ حسيّ، أو تخيُّل، أو رغبة، أو حُبٍّ أو كراهية، إلى آخره، فالعمليات العقليةُ والـ "موضوع": يقطعان بوجود "شىءٍ معيَّن" ندركه أو نتخيله أو نُحبُّه أو نكرهه أو نحكم عليه. ولـ "برنتانو" تأثيرٌ مباشرٌ على تلميذه "هوسرل" – كما سيأتى-.

---

(١) دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣١٩، وانظره، ٣٢١، ٣٢٧. وتاريخ الفلسفة، ص٤٦١.

(٢) "برنتانو" (١٨٣٧-١٩١٧م): كان قسًّا دومينيكانيًّا، ثم ترك الرهبنةَ وخرج على الكنيسة، وظل متأثرًا بفلسفة أرسطو وتوما الأكويني، عُرف بالإقبال على التحليلات الدقيقة عامةً والتحليلات المنطقية خاصة، من تلامذته: تفاردُفسكي، ومَيْنونج، وهوسِّرل. ومن مؤلفاته: علم النفس من وجهة النظر التجريبية. راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٤٦. والنفسانية المنطقية، ص١٨٧.

وأما "مَينُونج": فالتقط هذه الفكرة من "برنتانو"، وجعَلها – مَينونج – حجر زاوية وأساسًا لبحث "الموضوعات من حيث هى"، وقصده من ذلك: أن يحدد الصفات الأوَّلية لهذه الموضوعات، دون نظرٍ ولا اعتبارٍ للحالات النفسية التى هى موضوعات لها(١)، وسيأتي تأثُّر "هوسرل" المباشر بهذه الفكرة.

فـ "هوسرل": بحَثَ "فى الظواهر"؛ تكملةً لهذه الطريقة ولهذا المنهج الذى انتهجه من قبله "برنتانو" و"مينونج"، كأحد مناهج المعرفة بالأشياء، فكانت فلسفتُه تكملةً لمنهجهما؛ فقال بوجود طرفَين للشعور: حركة عقلية، وشىء – موضوع – تقع هذه الحركة عليه، وتربطهما رابطة، ومظاهر هذا الشعور مختلفةٌ، فقد يكون فى صورة إدراك حسيٍّ، أو تفكير، أو نحو ذلك، كما سيأتى تفصيله. غير أن "هوسرل" تميَّز عن "برنتانو" و"مينونج": بأنه مزَج فلسفتَه – من أول الأمر – بنظريةٍ مثاليةٍ فى طبيعة الوجود(٢).

---

(١) و"مَينونج" بذلك يقدم "نظريةَ الموضوع"، وأسَّس مدرسةً صغيرةً، لكنها مؤثرةٌ؛ فله تأثيرٌ على فلسفة الواقعية الجديدة عند "چورج مور"، وأثرٌ على تطور الوُجودية عند "هيدجر"، وأثرٌ على الميتافيزيقا عند "هارتمان". راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٤٦، ٢٢٠. ورجَع "هوسرل" إلى "مينونج" فى مواضع من كتبه؛ مثل: مباحث منطقية (مباحث فى الفيمياء ونظرية المعرفة)، ترجمة موسى وهبة، ج٢ ص١٩٠، نشر: كلمة - أبو ظبي- الإمارات، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.

(٢) راجع: فلسفة المحدَثين والمعاصرين، ص١٤٣، ١٤٦. الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢١٩. دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٣٠، ٣٣١.

و"الفنومينولوچيا" – التى أسَّسها "هوسرل" –، ظهرت فى ألمانيا، ثم انتشرت فى بلاد الغرب. وهى تسعى– بجانب فلسفة الحياة[١] – إلى قطع الصلة عن الفكر المنتشر فى بلاد الغرب فى القرن التاسع عشر، وتبتعد ابتعادًا حاسمًا عن اتجاهات هذا الفكر كلها. ولا تلعب فى العلوم الطبيعية ولا فى نتائجها إلا دَورًا ثانويًّا، وتتعارض مع المذهب التجريبي[٢].

ومن أبرز فلاسفة "الفنومينولوچيا": "الكْساندر بفاندر، ١٨٧٠–١٩٤١م"، و"أُسكار بِكَّر، وُلد ١٨٩٣م"، و"رومان انجاردن، وُلد ١٨٣٩م"، وغيرهم. وأكبر المفكرين أصالةً فى هذا الاتجاه إلى جانب "هوسرل": هو "ماكس شلر، ١٨٤٧–١٩٢٨م"[٣].

---

(١) فلسفة الحياة: اتجاهٌ يسعَى إلى تحطيم الإطار العام للفلسفة الأوربية الحديثة (١٦٠٠-١٩٠٠م)، ويبتعد عن الاتجاه التجريبي والمثالى فى الفلسفة، ولُبُّ هذا الاتجاه، يدور حول "الحركة" و"الصيرورة"، وأهم ممثليها من الفلاسفة: "هنري برجسون، ١٨٥٩-١٩٤١م". راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص١٧١ وما بعدها. وقصة الفلسفة الغربية، د/ يحيى هويدي، ص١٠٣-١١٠، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٩٣م.

(٢) راجع: مدخل إلى الفكر الفلسفي، تأليف: چوزيف بوخينسكي، ترجمة: د/ محمود حمدي زقزوق، ٦٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧٣م. ودراسات فى الفلسفة المعاصرة، ٣٣٢.

(٣) راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢١٩-٢٢١. وتاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤٦٠. ومفهوم الروح عند ماكس شلر، د/ ظريف حسين، ص٣٩ وما بعدها، دار النهضة العربية، ١٩٩٧م.

التعريف بـ "ادموند هُوسِّرل" (١٨٥٩-١٩٣٨م)، وأثره على الفكر الفلسفي

وُلد "ادمُوند هُوسِّرل" – لأبوَين يهوديَّين – فى مدينة "بروسنيتز" قُرب "تشيكيا"، وكانت تابعةً للمملكة المجَرية النمسَاوية. وسافر عام (١٨٧٨م) إلى برلين، وتتلمذ على الفيلسوف الألماني "فرانز برنتانو"، ودرَس مع عالِم النفس الألماني "كارل شْتُمْف، ١٨٤٨-١٩٣٦م". ودرَّس "هوسرل" فى عدة جامعات ألمانية، هى: هالَّة، ثم جوتنجن، ثم فرايبورج. وفى عام (١٨٨٦م) اعتنق المسيحيةَ البروتستانتينيةَ. وعُرف عنه: الحرص على العمل الدؤُوب دون كَللٍ أو مللٍ، ووُهب موهبةَ التحليل النفَّاذ، وفاق بها الكثيرَ من المفكرين.

وله مؤلفات فلسفيةٌ متعددةٌ، لكن قراءتها وفهمها ليس بالأمر الهيّن، بل فيها مشقةٌ بالغةٌ؛ سببها: صعوبة الموضوعات التى يتناولها بالدراسة، وليس سببَها اللغةُ – كما قد يُفهَم –، كما أنه يكتب بطريقةٍ بالغة الدقة، وشُبِّه فى ذلك: بـ "أرسطو"(١)، بل لـ "هوسرل" مصطلحات خاصة، من الصعوبة البالغة أن يجد المترجمُون مصطلحات تقابلها فى اللغة العربية. وأيضا يَعْرِض جُملا وتراكيب مطوَّلة، تحمل معانى ودلالات متعددة، فى فهمها مشقةٌ. إضافة إلى عدم تداوُل أفكاره بقدر كافٍ بين الباحثين

(١) "أرسطو": (٣٨٥-٣٢٢ ق. م): هو أرسطو بن نيقوماخوس؛ وُلد بمقدونيا، وتتلمذ على أفلاطون، وأصبح أكبرَ فلاسفة اليونان وفلاسفة الزمن القديم. لُقِّب: بالمُعلم الأول، والحكيم. له مؤلفات فى: المنطق، الطبيعة، وما وراء الطبيعة. راجع فى ترجمته وآرائه: تاريخ الفلسفة اليونانية، أ/ يوسف كرم، ص١١٢-٢٠٩، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، بدون تاريخ.

والدارسين، مما يجعلها غريبةً على الأذهان، باستثناء الاهتمام المنقطع النظير بهذه الفلسفة، من قِبل الباحثين الفرنسيّين(١).

ويُعدُّ "هسرل" امتدادًا لفكر "برنتانو" و"اشتُمْف". أما تحليلاته الدقيقة، وانتقاؤُه للألفاظ، وبراعتُه فى "التجريد"، فيُعدُّ فى ذلك امتدادًا – غير مباشر، بواسطة "برنتانو" – للمدرسة الفلسفية فى العصر الوسيط، وقد سبق: تأثره – أى "برنتانو" – بالفلسفة التُوماوية. وأيضا عند "هوسرل" تأثُّر واضحٌ بالفلسفة الـ "كانطية"(٢) الجديدة، سيأتى بعض مظاهره.

(١) راجع: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٤١، ٣٥٦. ومقدمة: د/ إسماعيل المصدق، لكتاب: أزمة العلوم الأوربية والفنومينولوچيا الترنسندنتالية مدخل إلى الفلسفة الفنومينولوچية، لهوسرل، ص٣٥، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ٢٠٠٨م. ومفهوم الروح عند ماكس شلر، ص٣٩-٤١.

(٢) "الكانطية": نسبة إلى: "إمانويل كانط، ١٧٢٤-١٨٠٤م": وُلد بكونجسبرج، ودرَس الفلسفةَ والرياضيات، واهتم بالعلوم الطبيعية، ثم اتجه ناحية فلسفة الأخلاق المستقلة عن العقل والدين معًا. ثم شرع فى "نقد" الفلسفة العقلية فى النظريات والأخلاق، ثم عكف عشرَ سنوات يُعيد النظرَ فى النتائج التى تَوصل إليها من دراساته، حتى أخرج كتابَه: نقد العقل الخالص النظري، يوضح فيه: مدى التطابق بين معاني العقل ومدركات الحس. وألَّف عن الأخلاق: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ونقْد العقل العملي. ثم أرجع الدينَ إلى مجرد عاطفة، وأوَّل العقائدَ تأويلا رمزيًّا، وسعى إلى إكمال فلسفته النقدية بالميتافيزيقا. راجع فى ترجمته وآرائه: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٢٠٨-٢٦٠. وكتاب: كانت أو الفلسفة النقدية، د/ زكريا إبراهيم، نشر: مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٢م.

لقد اهتم "هوسرل" أولَ أمره بالرياضيات، وتخصَّص فيها، حتى وجهه أستاذه "برنتانو": إلى التحيُّز للفلسفة، «واستهوَى "برنتانو" "هوسرل" بمحاضراته، وأَوحى إليه: أن المَثل الأعلى فى الفلسفة: هو أن تكون علمًا صارمًا دقيقًا، وشجعه على أن يشتغل بالفلسفة،... وتأثَّر "هوسرل" بـ "برنتانو" من جملة نواح: أولها: أنه أحسَّ بالحاجة القوية إلى إصلاح المنطق والاهتمام بأولياته[١]. وثانيها: أنه أدرك ضرورةَ ابتداء المنطق بدراسة المعنى والتعبير. وثالثها: أنه فطِن إلى عيوب "النفسانية المنطقية"، وجعْل الأفكارَ أساسًا للأحكام»[٢].

فدِقَّة الرياضيات، ومتانتُها، واتفاقُ العقول عليها، مما استوقف نظر "هوسرل"، ودفعَه إلى الفلسفة؛ التي اختلفت العقول فى نظرياتها، وتعددَت وتباينَت طُرق معالجتهم لمسائلها، فسعى "هوسرل" إلى إيجاد أساس يقينيٍّ للفلسفة لا مجال لتطرُّق الشك إليه، يجعل من الفلسفة عِلمًا بُرهانيًّا، وسيلته فى ذلك: فكرة "القصد" التى استقاها من أستاذه "برنتانو"، وبدأ يؤلف كُتبه لتحقيق هذا الغرض[٣].

وأبرز <u>مؤلفات "هوسرل"</u>: فلسفة علم الحساب. ثم ظهر فى عام (١٩٠٠-١٩٠١م) مؤلَّفه الأساسي: "مباحث منطقية = الأبحاث المنطقية"؛ وهو من ثلاثة أجزاء: الأول: مقدمات للمنطق الخالص، والثاني: أبحاث فى الفيمياء ونظرية المعرفة. والثالث: عناصر إيضاح

---

(١) راجع: مباحث منطقية، لهوسرل، ج١ ص٧٤.

(٢) النفسانية المنطقية عند جون ستيوارت مل، ص٧٦، وانظره، ص٥٣، ١٨٧.

(٣) راجع: مباحث منطقية، ج١ ص ١٨٩، ٢٦٢. ودراسات فى الفلسفة المعاصرة، ٣٢١، ٣٤٣.

فيميائي للمعرفة. وفى الجزء الأول: يفحص أُسسَ المنطق، ويهاجم بعُنفٍ فكرةَ جعْل علم النفس أساسًا للمنطق، ويهدف بذلك: إلى الوصول إلى طبيعة المنطق الحقيقية[1].

وفى سنة (١٩١٣م) نَشر كتابَه: "أفكار حول فنومينولوچيا خالصة وفلسفة فنومينولوچية"؛ وهو مؤلَّفٌ من ثلاثة كتب، نَشر "هوسرل" أوَّلَها بعنوان: مدخل عام إلى الفنومينولوچيا الخالصة.

ثم ظهر كتابه "المنطق الصوري والمنطق الترنسندنتالي" سنة (١٩٢٩م). وفى عام (١٩٣١م) ألَّف كتابَه "تأملات ديكارتية مدخل إلى الفنومينولوچيا"؛ وهو محاضرتان مطوَّلتان ألقاهما فى "السُّوربون" عام (١٩٢٩م).

وفى عام (١٩٣٦م) نشر القسمَين الأول والثانى من كتابه: أزمة العلوم الأوربية والفنومينولوچيا الترنسندنتالية، أما القسم الثالث: فظل يعمل فى تنقيحه وتحقيقه، ولم ينتَه منه، حتى توفى، ثم ظهر النَّص الكامل لهذا الكتاب عام (١٩٥٤م)، ضمن "الأعمال الكاملة" لـ "هوسرل".

وفى (١٩٣٨م) نشر كتابَه: "التجربة والحكم" أبحاث فى چينيالوچيا المنطق. وله دروسٌ منشورة تحت عنوان: "محاضرات فى فنومينولوچيا الوعي الزماني الداخلي".

وبيْن عامَى (١٨٩٠، ١٩٣٨م) كَتب "هوسرل" ما يقرب من خمس وأربعين ألف صفحة، ظلت مخطوطةً حتى وفاته، وبتعاوُنٍ من "منظمة

(١) انظر: النفسانية المنطقية، ص٧٧. ودراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٢.

اليونسكو"، بدأ نشر الأعمال الكاملة لـ "هوسرل"، بعنوان (هوسرليانا)، فصدر منها (٣٨) مجلدًا[١].

والتسَلسُل الزمانيُّ لتآليفه على هذا النحو، صريحٌ فى تطوُّر مراحل تفكيره الفلسفي؛ فقد بدأ بدراسة الرياضيات دراسةً فلسفيةً، بل إن "الرياضيات" هى أساس تفكيره؛ ففى عام (١٨٨٧م) قدَّم أطروحة التأهيل بجامعة هالَّة، بعنوان "حول مفهوم العدد تحليلات سيكولوچية"[٢].

ثم ابتكر منهجًا يتسم بالموضوعية والعقلانية، ثم انتهَى إلى المثالية؛ حينما أراد تطبيق هذا المنهج على دراسة الوعي، وهذا يستلزم بالضرورة: معرفةَ تطوره الفكري، وسيأتي فى موضع قريب.

وتأثير "هوسرل" فى التفكير الفلسفي: يظهر فى جوانبَ متعددة:

فهو يضربُ المذهبَين "الوضعىَّ" و"الاسمىَّ" فى صميمهما، من خلال كتابه "بحوث منطقية"[٣]، بعدما كانت لهذَين المذهبَين سيطرةً مطلقةً على الفكر الأوربي فى القرن التاسع عشر:

أما "الوضعية" – المنطقية – خاصة، فيرى أنصارُها: أن الفلسفة الميتافيزيقية، فارغةٌ؛ لا قيمة لموضوعاتها، بعد قيام العلم الطبيعي، واستبعدوا من نطاق البحث العلمي: ما لا يخضع للتجربة، فلا يؤمنون إلا بالواقع المحسوس. وكلامُهم مخالفٌ لطبيعة العقل؛ الذى يشتغل بالتأمُّل والتفكير فى الموجودات والبحث عن العِلل[٤].

---

(١) راجع: مقدمة كتاب: أزمة العلوم الأوربية، ص١١، ١٢.

(٢) راجع: السابق نفسه، ص١٠.

(٣) راجع: مباحث منطقية، لهوسرل، ج٢ ص١٣٣ وما بعدها.

(٤) راجع: أسس الفلسفة، ص٥٦، ٧٥، ١٢٦، ٢٦٤. ومدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٦٥.

ويرى "الاسميُّون": أن قوانين المنطق ما هى إلا تعميمات تجريبية واستقرائية، تُماثل قوانينَ العلوم الطبيعية، و"الكليُّ" عندهم: هو تصورٌ عامٌّ هَيكلىٌّ لا غير. بينما يرى "هوسرل": أن المنطق ليس علمًا معياريًّا(١) – مع أنه أساسٌ لعلمٍ معياريٍّ –، وأن قوانينَه ليست قواعدَ، فالمنطق عنده: يتناول الوجودَ، ولا يتناول ما ينبغي أن يكون. و"الكلي" عنده: موضوعٌ من نوعٍ خاصٍّ، فهو مضمونٌ نموذجيٌّ عامٌّ كلىٌّ(٢).

ومنهج "هوسرل" المبتكَر، الذى يقوم على الاهتمام بالموضوع "الماهية"، يعارض الاتجاهَ "الكانطي"؛ الذى لا يهتم بـ "الشىء ذاته" أو بالمضمون، اهتمامًا كاملا.

وتأثير "هوسرل"، لم يقتصر على أعضاء مدرسته الكثيرة، بل امتد ليشملَ الفلسفةَ الغربية كُلَّها، خاصةً فى النصف الأول من القرن العشرين. فمنهجه أصبح مطبَّقًا على يد كبار فلاسفة الغرب، خاصة من بعد الحرب العالمية الأولى(٣).

---

(١) راجع: أزمة العلوم الأوربية، ص٢١٨، ٢٢٦. و"العِلم المعيارىُّ": هو الذى يبرهن على أحكام تقويمية وينقُدها. ويرى "موي": أن المنطق علمٌ معيارىٌّ للصواب؛ كما أن الأخلاق – مثلا – علمٌ معيارىٌّ للخير. راجع: المنطق وفلسفة العلوم، تأليف: پول موي، ترجمة: د/ فؤاد زكريا، راجعه: د/ محمود قاسم، ص٣، ٢٣-٢٦، ٣١، ٥٨، نشر: مكتبة نهضة مصر، ١٩٦١م.

(٢) راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٢٦، ٢٢٧. ومدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٥٦-٦١. ودراسات في الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) راجع عن "هوسرل" وأثره على الفكر الفلسفي: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٤٦، ٢٢٣-٢٢٥. ودراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣١٥-

والأهمية الحقيقية لفكر "هوسرل"، تجلَّت فى أنه حمل على عاتقه مهمةَ "إصلاح الفلسفة، وإعادتها إلى مكانتها"، من خلال كتابه "أزمة العلوم الأوربية" خاصةً، إضافة إلى بعض كتبه الأخرى، ففي "أزمة العلوم الأوربية": يؤكد أن الأزمة الثقافية التي تعاني منها أوربا، ليس سببَها العلومُ ذاتها، بل السبب الجوهريُّ: هو إعراض العلوم عن الأسئلة التي تمسُّ الوجودَ البشرى في صميمه، وعدم تقديمها الجوابَ الكافي في هذه الناحية، فمهمة الفلسفة الأصلية عنده: أنها علمٌ يشمل كلَّ مجالات الحياة، وأن الفلسفة مؤسَّسةٌ على معاييرَ عقليةٍ، وأن تحولاتٍ طرأت على الفلسفة، واستقلَّت عنها بعضُ العلوم الأخرى، مما أدى إلى فقدان الثقة فى قدرة العقل على توجيه الحياة البشرية وقيادتها.

وحتى تصبح الفلسفة علمًا دقيقًا، لابد من التحرر من الأحكام المسبقة والأساطير والخُرافات والتقاليد الساذجة؛ لنتمكن من تأسيس منهجٍ جديدٍ يُفرَض على كل مجالات الحياة، فى ضوء معاييرَ عقليةٍ دقيقةٍ، وهو ما عرضه "هوسرل" تحت عنوان "فنومينولوچيا ترنسندنتالية".

وعرَض "هوسرل" لفكرة "إصلاح الفلسفة": في بحوث ومقالات أخرى له، مثل مقالِه: "الفلسفة كعِلمٍ صارمٍ"، وكتابه: "التجربة والحكم"(١).

٣١٨، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٥٦. ومقدمة: أزمة العلوم الأوربية، ص٩ وما بعدها.

(١) راجع: أزمة العلوم الأوربية، ص٤٨، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٨، ٥٢٣، ٥٢٦. مباحث منطقية، ج١ ص٧٤. دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٤٣. قصة الفلسفة الغربية، ص١١١.

مراحل تطوُّر التفكير الفلسفيِّ عند "هوسرل"

وفقًا لتسلسُل تآليفه، يمكن القول: إن فلسفته مرَّت بعدة مراحل(١):

ففي مرحلة تأليفه لكتاب "فلسفة علم الحساب، ١٨٩١م" كانَت "النفسانيةُ" مسيطرةً على فكره؛ و"النفسانيةُ": ترى: أن المنطقَ فرعٌ من علم النفس. وتعنى: المُغالاةَ فى علم النفس، وتأويلَ موضوعات المعرفة والواقع ونتائج المنطق، وتحويلَها إلى مشاعر ومعتقدات سيكلوچية(٢).

برزت "النفسانيةُ" فى ألمانيا، كرَدِّ فعلٍ على "الاتجاه الرومانتيكيِّ"(٣)؛ الذى يفسر هذه المذكورات: بِردِّها إلى "الوجود المطلق"، فأحلَّت "النفسانيةُ" السيكلوچيةَ الفرديةَ محلَّ هذا الوجود المطلق، فالحقيقة والواقع

(١) راجع: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ص٢٢٦. دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٧. ودراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٤١.

(٢) "السيكولوچيا": هى ((البحث فى ظواهر النفس؛ للكشف عن قوانينها)). المعجم الفلسفي، ج٢ ص٤٨٣. وانظر عن موقف "برنتانو" من "النفسانية"، وتأثُّر تلميذه "هوسرل" به: النفسانية المنطقية، ص٥٣، وانظره، ص٧٥ وما بعدها. ثم راجع: المنطق وفلسفة العلوم، ص٩، ٢٣.

(٣) "الرومانتيكية": حركةٌ أدبيةٌ فى أصلها، ثم سرَت إلى بعض التخصُّصات الأخرى ومنها الفلسفة، أواخر القرن الثامن عشر، أوائل التاسع عشر الميلاديَّين، ويصعب تعريفها تعريفًا دقيقًا، لُبُّ هذه الحركة وجوهرُها: تمجيدُ الحياة والنفس. راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٩. وعن موقف "هوسرل" من علم النفس: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٥٧-٣٦٨.

– وفقًا للنفسانية: – هى ((تمثُّلات ذاتية، لا وجود لها إلا باعتبارها ظواهر سيكلوچية))[1].

ثَمة مشكلةٌ لابد أن تعالجها "النفسانية"؛ ألا وهى: اتفاق الأفراد حول موضوعية المعرفة والواقع؛ بمعنى: أن المعرفة والواقع يتَّسمان بنسبةٍ من الموضوعية والثبات، والأساس السيكلوچي الفردي – الذي تقوم عليه المعرفة والواقع – متغيِّرٌ، فكيف يكون المتغير أساسًا تفسَّر في ضوئه الثوابت والموضوعيات؟

فى كتابه "فلسفة علم الحساب" يحاول "هوسِّرل" أن يقدم إجابةً، من خلال مناقشته لحقيقة الأعداد الحسابية: هل هذه الأعداد انعكاسٌ لحقيقةٍ موضوعيةٍ ما[2]؟ أم هى نتائج لعمليات ربط سيكولوچيٍّ؟ يميل "هوسرل" إلى الحل السيكلوچي.

غير أنه لم يرتض هذا الحلَّ فى المرحلة الثانية من مراحل تطوره الفكري؛ أعنى المرحلةَ التي ألَّف فيها كتابَه "مباحث منطقية، عام ١٩٠١م"؛ فقد نقد فكرةَ تطبيق النفسانية فى مجال نتائج المنطق؛ فمثلا قولنا: "كل إنسان فانٍ، سقراط إنسان"، يفيد حتما: "سقراط فانٍ".

لكن وفقًا لتطبيق النفسانية على هذه النتيجة، يقال: "الشخص الذى يعتقد أن كل إنسان فانٍ"، ويعتقد أيضا: "أن سقراط إنسان"، لابد وأن

---

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٤٢. وانظره، ص٢٥٦. وأزمة العلوم، ص٢٠٧. والنفسانية المنطقية، ص٤-٩، ٧٥-٨٥. ودراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٤٦، ٣٥٧.

(٢) "الأحكام الرياضية" من وجهة نظر نفسيةٍ: تحوى بداخلها جوًّا فرديًّا، ربما مصدره: فعلٌ عاديٌّ، أو التذكُّر. المنطق وفلسفة العلوم، ص٢١، ٢٢ بتصرف، وانظره، ص١٣٩، ١٧٠.

يعتقد: "أن سقراط فان". وهذا تأويلٌ نفسانيٌّ، أساسه: الاعتقاد الفردىُّ، وهذا يُخرج الكلامَ عن مضمونه ومعناه الرياضيّ، ويقود إلى القول بوجود حقيقة، لكنها ليست ثابتةً، وهذا ارتدادٌ إلى كلام "السوفسطائية"(١). ثم ماذا لو لم يعتقد الشخص هذه الاعتقادات؟ هل نعدم الحقيقةَ التى تقررها القضية – المنطقية – المذكورة؟ حتمًا لن نَعدمها ولن نَفقدها.

ثم إننا نسأل – النفسانىَّ– الذى أوَّل العبارةَ بهذا التأويل: ما السبيل إلى الاعتقاد بأن الناس فانُون، وأن سقراط إنسان؟ سيجيب: السبيل هو الملاحظة المتكررة.

وهذا الجواب صريحٌ فى ربط "النفسانية" بـ "التجريبية" ربطًا وثيقًا، وهذا الربط واضحٌ فى أكمل صوَره عند "جون ستيوارت مل"(٢)؛ الذى أقام الفكرَ والمنطقَ على أُسسٍ نفسانيةٍ تجريبيةٍ(١).

---

(١) "السَّفسَطة": نوعٌ من الاستدلال الباطل الذى يقصد إلى تَمويه الحقائق، و"السوفسطائىُّ": مَن ينكر الحقائقَ. ظهر السوفسطائيون في النصف الثاني من القرن الخامس (ق. م)، بسبب تبايُن آراء الفلاسفة في تفسير أصل الوجود ونشأة الكون، وبسبب عوامل أخرى سياسية واجتماعية ودينية. وأهم أعلام السوفسطائيين: بروتاجوراس، جورجياس، ثراسوماخوس، هيبياس. والسِّمات المشتركة بينهم: هدم حقائق الأشياء، وإنكار الآلهة، وهدم قواعد الأخلاق. مقدمة محاورة بروتاجوراس، لأفلاطون، ترجمة: بنيامين چويت، محمد كمال الدين على، ص٧-٣٧ بتصرف، دار الكاتب العربي. وانظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٤٥.

(٢) راجع: مباحث منطقية، ج١ ص٨٥ وما بعدها. النفسانية المنطقية، ص١٢٤، ١٦٠، ١٨٤. و"جون استيوارت مل": وُلد بلندن (١٨٠٦م)، وهو الابن الأكبر للفيلسوف والاقتصادي "جيمس مل". تعمَّق فى الاطلاع على علم النفس. وألَّف كتابَه عن "المنطق"، ورغم شهرته

ظهر بذلك، أنه من الخطأ البيّن أن يقال: إن حقائق المنطق والرياضيات تقوم على أسُسٍ نفسانيةٍ تجريبيةٍ متغيّرةٍ، فهى أُسسٌ مثاليةٌ بحتةٌ؛ لاستنادها إلى اعتقادٍ فرديّ وملاحظاتٍ شخصيةٍ، فهي مثاليةٌ وإن حاول أنصارها أن ينقذوها من الفردية، من خلال اعتمادهم على كثرة التكرار والاعتياد في الملاحظات، بل مثاليةٌ، فرديةٌ، أما الحقائق المنطقية: فضروريةٌ، مستقلةٌ عن الأسس المذكورة[٢]، فلو صدَق القول: بأن المنطق فرعٌ من علم النفس – كما يرى النفسانيُّون –، «لكانت القوانين المنطقيةُ غامضةً غموضَ القوانين السيكلوجية، ولكانت – فى هذه الحالة – مجردَ قوانين احتمالية، ولاقتضَى هذا: أن وجودَها يَفترَض مسبقا وجودَ الظواهر النفسانية، وهذه كلها أمورٌ غير مقبولة. أما الذي يراه "هوسرل" بالمقابل: فهو أن القوانين المنطقية تختلف فى نوعها عن القوانين السيكلوجية اختلافًا كاملا؛ فهي قوانين نموذجية، وقبْلية»[٣]. إضافة إلى

الفائقة فى مجال "علم النفس"، إلا أنه لم يؤلف فيه كتابًا مستقلا، بل آراؤه في علم النفس تُستخلَص من كتابه في المنطق. واشتغل بالكتابة فى: التفكير العلمي، والاشتراكية، والعقيدة الدينية. من مؤلفاته: رسائل ومناقشات، ونسق المنطق. توفى عام (١٨٧٣م). راجع: النفسانية المنطقية عند جون ستيوارت مل، ص٢٥-٣٣. وتاريخ الفلسفة الحديثة، ص٣٤١-٣٥٠.

(١) راجع: مباحث منطقية، ج١ ص٨٥ وما بعدها. النفسانية المنطقية، ص١٢٤، ١٦٠، ١٨٤.

(٢) راجع: مباحث منطقية، ج١ ص٧٥، ٨٥، ١١١. دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٤٣.

(٣) الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٢٦، ٢٢٧. وانظر: النفسانية المنطقية، ص٨٠، ٢٠٠.

أن القوانين النفسانيةَ لا تمتُّ بصِلة إلى "القضية" ولا "الحُكم" ولا غير ذلك من قوانين المنطق ومسائله، بل تتصل بما هو موضوعيٌّ.

هذا النقد من "هوسرل" – إضافةً إلى نقده للاسميّين –، له قيمته العالية فى الفلسفة الغربية فى القرن العشرين، إنه يؤسس للقول: بأن للمنطق ميدانًا يخصُّه وحْده، هذا الميدان هو: عالَم "المدلُولات"؛ فمعنى "فلسفة الماهية" عنده: أن مجال المنطق: هو "المعاني" و"الدلالات"؛ لأنها تهدف إلى الكشف عن "الماهية" أو الوصول إلى الدلالات التي تضع "المعطيات"؛ أي موضوعات الشعور، ولن نصِل إلى الماهية، إلا بعد استبعاد الصفات العرَضية للموضوع؛ لأن هذه العرَضيات: مجردةٌ، ليست جوهريةً، ناقصة المحتوَى. فحذْفها هو سبيل الوصول إلى الصفات الثابتة للشيء، حتى نُبقى على الصفات التي لابد من الإبقاء عليها، إذ لولاها لما كان للموضوع وجود. أما "الماهية": فحقيقةٌ عينيةٌ، لها مضمونٌ ومعنًى، نصلُ إليها عن طريق رؤية مباشِرة – حدسٍ – ذهني مستند إلى التفكير والتأمل(١).

ولـ "هوسرل" أثرٌ ملحوظٌ على المنطق الرياضي من بَعده، لكن ثَمة خلافٌ بين المنهجَين: منهج "المنطق الرياضي"، والمنهج

(١) راجع في ذلك: مباحث منطقية، ج٢ ص١٣٧، ١٦٣. مع ملاحظة: عدم خُلوّ صفحة من صفحات كتابه (مباحث منطقية) من ألفاظ: "حدس"، و"دلالة"، و"ماهية". وراجع أيضا: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٢٧. دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٣. وأيضا مع ملاحظة: اختلاف معنى "الحدس" عند "هوسرل" عن معناه عند "برجسون". راجع فى ذلك: قصة الفلسفة الغربية، ص١١٤. المعرفة، د/ محمد فتحي الشنيطي، ص١٩٣-١٩٦، دار الثقافة بالقاهرة، ط٦، ١٩٨١م.

"الفنومينولوچي"؛ فهذا الأخير: لا يستخدم الاستنباطَ[1] مطلقا، واهتمامه باللغة قليلٌ – على الرغم من أن "هوسرل" يُولى اللغةَ اهتمامًا ملحوظًا –، ولا يحلل الوقائعَ التجريبيةَ، بل يحلل الماهيات فقط. أما أوجُه الاتفاق بين المنهجَين: فكِلاهما – من حيث المحتوَى – منهجٌ، لا مذهبٌ، وكلاهما ظهر نتيجة التفكير فى أُسس العلوم، ويبحثان عن أُسس عقلية جديدة تقوم عليها هذه العلوم، بعدما حطَّم هذان المنهجان كثيرًا من التبسيطات الساذجة، التي كانت سائدةً في القرن التاسع عشر[2].

(١) "الاستنباط": ((فعلٌ ذهنىٌّ، نستخلص بواسطته من شيء لنا به معرفةً يقينيةً، نتائجَ تلزم عنها)). السابق نفسه، ص٩٩.

(٢) راجع: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ص٤٧، ٦٥. ودراسات في الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٧، ٣٣٠.

نظريةٌ أخرى يقدمها "هوسرل" فى "مباحث منطقيَّة"(١) وغيره من كُتبه، هي نظرية "المعنى القصدي"؛ مفادها: أن "الضرورة" التي تبدو لنا من أحكام المنطق، تحوى بداخلها "ماهياتٍ عقلية"، لها استقلال تامٌّ عن العقول الفردية جميعا، فمتى أصدر الأفراد هذه الأحكام – المنطقية –، وجدوا أنفسَهم إزاء حقائق ثابتة، تجذبهم للاتفاق حولها؛ فمثلا قولك (٤+٤=٨)، أي في هذا الزمان والمكان الحالي، وكذا في ظروف وأزمان وأماكن أخرى، تؤكد الحكمَ فى نفس القضية، ويتفق الآخرون معك في هذا الحكم؛ وسبب ذلك: أن هذا الحكم غيرُ نفسانيٍّ، بل السبب: أن من أصدر الحكمَ، وكذا من وافقه عليه، وجدوا أنهم حين إصدار هذا الحكم، ينظرون نظرةً عقلية، حينها تَمثُل أمامَهم حقيقةً عقليةً، تعلُو على حكمهم جميعا(٢).

وهذا يشْبه فكرةَ "إله أرسطو"؛ يحرّك ولا يتحرَّك(٣)، يدفع إلى الحكم وهو يعلُو على كل حكم. فالحقيقة المنطقية ليست انعكاسًا لمعطيات الوعي ولا

---

(١) راجع: مباحث منطقية، ج٢ ص٩٠ وما بعدها. وأزمة العلوم الأوربية، ص١٥٠، ٢٦١.

(٢) راجع عن "القصدية" عند "هوسرل" بالتفصيل: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٣٣-٢٣٥. ودراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٣٠، ٣٣١. ثم انظر: قصة الفلسفة الغربية، ص١١٤. والمنطق وفلسفة العلوم، ص٢١. ومفهوم الروح عند ماكس شلر، ص١٨٥، ١٩٣.

(٣) يرى "أرسطو": أن الإله "مَعشوقٌ" و"مَعقولٌ"، فشأنه: أن يحرّك ولا يتحرَّك، ولا يعقِل إلا ذاته فقط؛ إذ لو عقِل غيرَه، انحطَّت قيمة فعله. راجع: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٧٧-١٨٢.

الشعور، بل تمثِّل معطياتٍ مستقلةٍ، تؤكد وجودَ نفسها فى مواجهة أيِّ شعورٍ أو حكمٍ، حقيقة ليست من صُنع الشعور ولا من ذيوله، بل الشعور ينجذب إليها حتى يلتقىَ بها(١).

ظهر مما سبق: اكتساب الأحكام المنطقية لموضوعيةٍ لم تكن متوفرةً لها في الاتجاهات النفسانية، غير أن هذه الموضوعية ليست مطلقةً، بل خاصة، وهى شبيهةٌ بـ "مُثُل أفلاطون"(٢)؛ أعني: أنها موجودة في عالَمٍ خاصٍّ، مفارِقٍ، وهى بمثابة نماذج وصور مستقلة تمامًا فى عالَم المعقولات.

ومجالات هذه النظرية، لا تقتصر عند "هوسرل" على الأحكام المنطقية فقط، بل تشمل: "الإدراكَ"؛ فأنت إذا أدركتَ موضوعًا، فالإدراك لم يَخلق هذا الموضوع المدرَك ولَم يوجِده، بل التقَى به فقط.

وتشمل أيضا: "الخيالَ"؛ فتخيُّلك لصورة معيَّنة، لا يعنى أن الخيال هو خالقها، بل فقط يجدها حاضرةً أمامه. كما تشمل أيضا: "العواطفَ" و"الانفعالات" و"القِيَم"، على نحو ما قيل في الإدراك والخيال.

---

(١) التقط "هوسرل" هذه الفكرة من القس "بولزانو"؛ الذي انخلع من الكهنوت، وظل حياتَه مغمورًا، إبان وجود "هيجل". راجع: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٤٤، ٢٥٧.

(٢) يرى "أفلاطون": أن المحسُوسات هى "مُثل" لِصُور كُلية ثابتة، والـ "مُثل": هى الشيء بالذات، وهى نماذج أعلى من الأجسام. والأجسام: أشباحٌ للمُثل. راجع: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٧٢-٧٦.

فهذه المعطَيات المستقلة تمامًا «عن الشعور الماثلة أمامه، تمثِّل حقائقَ في ذاتها،... وتفرض نفسَها على الشعور في بداهة»[(١)]، فالشعور يدركها عن طريق "حدْسٍ" من نوعٍ خاصّ أيضا، فليس بمعنى "الحدس الكانطي"[(٢)]، وليس حدسًا ديكارتيًّا بالمعنى الذي قال به الفيلسوف "رِني ديكارت"[(٣)] وسماه: "الطبائعَ البسيطةَ"[(١)]. فالشعور والإدراك والخيال

---

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٤٥، ٢٥٨. وانظر: فلسفة المحدثين، ص١٤٤.

(٢) إن "كانط" لا يؤمن بوجود "الأفكار الفطرية" التي قال بها السابقون، ولا بـ "الحدس" الذهني المغرُوز في طبيعة العقل؛ «بل هو يعتبر العناصرَ الأولية، بمثابة شروط ضرورية للمعرفة، على أن تجيء العيانات الحسية أو الحدوس التجريبية، فتكون بمثابة "معطيات" تتمثل أمام الذهن، ويكون فى وُسع الذهن أن يركِّب منها معرفةً». كانت أو الفلسفة النقدية، ص٦٤، وانظره، ٧٨. ومباحث منطقية، ج٢ ص١٣٧. ثم راجع: أزمة العلوم، ١٩٣. المعرفة، ص١٢٩. المنطق وفلسفة العلوم، ص١٧٠.

(٣) "رني ديكارت، ١٥٩٦-١٦٥٠م": وُلد في "بلاهي" بفرنسا، ودرَس الفلسفةَ الأرسطية، وأُعجب بدقة الرياضيات ووضوحها، ورأى أن اختلاف الفلاسفة فى مباحثهم، مَدعاةٌ للشك فى الفلسفة وفيما يُبنى عليها من علوم. ثم اهتم بتجريد المسائل الطبيعية من المباديء الفلسفية، ثم ردِّها إلى مسائل رياضية. وألَّف كتاب: مقال في المنهج، ومباديء الفلسفة، ومال إلى دراسة الأخلاق تفصيليا. وبعدما أرسى "قواعد المنهج" الفلسفي، تلاه بتطبيق هذه القواعد، وتمثَّل هذا التطبيق: فى الشك المنهجيّ، لا المطلق، كما هو مشهورٌ مبيَّن في محله. راجع: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٥٨-٨٨. **و"الحدْس" عند "ديكارت":** «عملٌ عقليٌّ، يدرِك به الذهنُ حقيقةً من الحقائق، يفهمها بتمامها في زمان واحد،

والعواطف والانفعالات والقيَم، لابد أن تكون شعورًا وإدراكًا وخيالا وعواطف وانفعالات وقيَم لـ: شيء، أو في شيء، أو عن شيء. ومن الخطأ أن نَغرق فى الشىء ذاته فى فعلٍ من هذه الأفعال الشعورية، لأن الغرَق فيه يعنى: أنه مجرد صورة أو تشكيل من صور وتشكيلات هذا الفعل.

إن تطبيق "هوسرل" لهذه النظرية على التطبيقات والمجالات المذكورة، متأثرٌ فيه بأستاذه "برنتانو"، غير أن "هوسرل" زاد عليه: محاولةَ إكساب المجالات المذكورة لـ "الموضوعية"، هذا ما ميَّز "هوسرل" فى هذه المرحلة من مراحل تطوره الفكري(٢).

لكن سرعان ما نقول: لو تُركت هذه الموضوعيةُ هكذا على إطلاقها، لأَوحى ذلك بالقول: بأنها موضوعيةٌ مطلقةٌ، وهذا ينافى ما قلتُه سابقًا: إنها موضوعيةٌ من نوع خاصٍ. والقول بـ "موضوعيةٍ مطلقة" يوقعنا مرةً ثانيةً فى "مطلقٍ" آخر، هذا المطلق الآخر مختلفٌ عن المطلق الديني، الذي سعت "النفسانية" إلى إقصائه عن طريق الفرد، لكنه مطلقٌ من

لا علـى التعاقُـب)). المعجـم الفلسـفي، ج١ ص٤٥٢. فهـذا الحـدس الـديكارتي، لا يتعلـق بـالحواس ولا بالخيـال، بـل بالـذهن الصـافي، فهـو غريزةٌ عقليةٌ تَصل بمفردها إلى الحقائق البسيطة البدهية؛ كقولنا: المثلث شكلٌ محـاطٌ بثلاثـة أضـلاع. راجـع: مقدمـة فـي الفلسـفة العامـة، د/ يحيـى هويـدي، ص١٣٩، دار الثقافـة، ١٩٩٣م. ثـم انظـر: أزمـة العلـوم، ص١٠٤، ١٧٩، ٢١٨. المنطق وفلسفة العلوم، ص١٧١.

(١) "الطبائع البسيطة": ((هي التي تدرَك إدراكًا مباشرًا؛ كالوَحدة والوجود والامتداد،... قد بلغت من الوضوح والتميز مبلغًا، يمنع الذهنَ من تقسيمها إلى أخرى أكثر تميُّزا منها)). المعرفة، ص٩٩.

(٢) راجع: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ٣٢٤. دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ٢٤٦.

وجهة نظر الشخص العادي والفيلسوف؛ أما الشخص العاديُّ: فلا يشك في وجود نفسه وجودًا ماديًّا.

ثم هو يعتقد: أن هذا المطلق يقوم في مقامه الطبيعي من هذه الحياة؛ فهذا الرجل العادي، لا يشك مطلقًا فى قيام الأشياء المادية في العالم من حوله؛ خلافًا للفيلسوف؛ له نظرةٌ إزاء هذه الموضوعية المطلقة؛ لا يبدأ النظرةَ من نفسه – كالعادي –، بل الفيلسوف يبدأ نظرتَه من هذه الموضوعية المطلقة، (وهذا خلافٌ واسعٌ بين "هوسرل" و"ديكارت")، غير أن الفيلسوف لا يسلِّم بوجود هذه الموضوعية تسليمًا أوَّليًّا، بل "يشكُّ" فى وجودها الفعلي – شكًّا منهجيًّا –، وللتدقيق، فهذا لا يسمَّى "شكًّا" عند "هوسرل" بالمعنى الاصطلاحي للشك، بل يسميه: بـ "منهج الإيبوخيه = الإيبوخي = الآبوخة = التقويسي" –؛ أى وضع الوجود الفردي للموضوع موضع الدراسة "الوجود الواقعي للأشياء" – بين قوسَين؛ أعنى: الموضوعَ

الذى لم يبرهَن عليه ببرهانٍ يقينيٍّ[1] -؛ فهو تعليقٌ للحكم؛ أى توقُّفٌ عن الحكم.

وليس الهدف من هذا التوقف: إنكارَ حقيقة وجودنا فى العالَم، بل الهدف: حصر الخصائص الجوهرية لهذه المحصورات بين القوسَين؛ وحتمًا عليه أن يقطع طريق "التوقف" عن الحكم حتى نهايته، دون استثناء شىء من موضوعات هذا الطريق، ولو كان هذا "الموضوع" هو "وجود الله" ذاته[2]، فوضعَ الإلهَ نفسَه بين قوسَين، مع أن الإله هو منبعُ الوجود، فأخضعه "هوسرل" لنفس معاملة المنطق وسائر العلوم الماهوية

---

(١) ويسمَّى: بـ "الاختزال الماهوِيّ"، وهو أحد أنواع "الاختزال" عند "هوسرل". وعنده أيضا: "الاختزال" الذى يبدأ بصرف النظر عن سائر المذاهب الفلسفية، كأنها لا وجود لها. و"الاختزال الترنسندنتالي؛ أى المتعالي": ويضع كلَّ ما يمتُّ إلى الوجود بصلةٍ بين قوسَين، وأساس هذا النوع من الاختزال: هو "نظرية القصدية". وقد يرُوق للبعض تسميته "شكًّا"، ويقصدون: أنه يُشبه الشكَّ المنهجيَّ الديكارتيَّ، مع أنه في الواقع عند "هوسرل": تعليقٌ للحكم، وسماه "هوسرل" فى كُتبه: بـ "التوقُّف"؛ أى "التوقُّف" عن الحُكم. راجع: أزمة العلوم الأوربية، ص٦٠، ١٣٩، ١٤٥، ٢١٩-٢٢٤، ٢٣٤، ٢٧١، ٢٨٨. مقدمة كتابه: مباحث منطقية، ج١ ص٧. الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٣٢، ٢٣٣. دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٥. وقصة الفلسفة الغربية، ص١١٤.

(٢) خلافًا لديكارت؛ فقد استثنَى وجودَ الله، وجعلَه ضامنًا لحقيقة الأشياء المادية. راجع: التأملات فى الفلسفة الأولى، لديكارت، ترجمة: د/ عثمان أمين، ص٧٧-٧٩، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م. أسس الفلسفة، ص٣٢٢. والمعرفة، د/ الشنيطي، ص١٠١.

الأخرى ولم يُخضع "الميتافيزيقا" للفنومينولوچيا بهدف القضاء عليها، «بل لكى تعمل على تكملتها وتثبيت دعائمها»[١]، و"هوسرل" بذلك ينحي جانبًا: كلَّ علوم الطبيعة والعلوم العقلية.

وليست طريقة "هوسرل" المذكورة مختلفةً تمام الاختلاف عن طريقة "ديكارت"، بل الأمر قريبٌ؛ فإنْ «كان قد لاحظ: أن "ديكارت" لم يستطع أن يشك فى وجود الله، لكن من حقنا هنا أن نلاحظ: أن "هوسرل" لم يتعمق بدرجةٍ كافيةٍ فى فكرة "الشيطان المخادع" عند "ديكارت"، والتى من الممكن أن تؤدى إلى ما أراده»[٢]، لكن يفرَّق بين طريقة "ديكارت" وطريقة "هوسرل" المذكورة: أن "ديكارت" ألغى – مؤقتًا – الوجودَ الواقعىَّ للأشياء؛ ليتمكن بعد ذلك من ربطه بعجَلة الذات، أما "هوسرل": فأبقى على هذا الوجود، لكن لم يُرد من الإبقاء عليه أن يفرض نفسَه على الذات[٣].

إن سبيل الوصول إلى "الموضوع الخالص": ليس هو الشك الديكارتي، بل "الإيبوخيه"؛ حيث يضرب الباحث صفحًا عن كل المذاهب الفلسفية،

---

(١) دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص٣٤٠. وراجع: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ص٢٣٣. و"العلوم الماهوية" عنده: هى علوم الصورة الجوهرية، التي تهدف إلى إدراك الماهيات. راجع: مباحث منطقية، ج١ ص٨٥، ٤٢٦. الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٣١.

(٢) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٤٦. وراجع: فلسفة المحدثين والمعاصرين، ص١٤٤، ١٤٥. وعن "الشيطان المخادع": التأملات، لديكارت، ص٨٠، ٩٨. أسس الفلسفة، ص٣٢١. مقدمة في الفلسفة العامة، ص١٢٩. قصة الفلسفة الغربية، ص٥٢.

(٣) راجع: مقدمة في الفلسفة العامة، ص١٣٠، ١٣١. وقارن: أزمة العلوم، ص١٣٩-١٥٠.

فيضع بين قوسَين كل ما هو خارج استعماله، فلا ينظر إلى الوجود الفردي للموضوع محل الدراسة؛ لأنه يستهدف "الماهيةَ" وليس الأفراد، فهو يضرب صفحًا عن العلوم الطبيعية وما يتعلق بها من تجارب وافتراضات علمية، بل يستبعد "اللهَ" نفسَه – كما سبق–، وكذا يُخضع المنطقَ لهذا المنهج.

وليس "الإيبوخيه" من قَبيل الشك المطلَق – السوفسطائيِّ –؛ لعدة أسباب: فـ "هوسرل" نفسه يحارب النزعات الارتيابية[1]. وأيضا سبق: أنه يهدف إلى الوصول إلى "الماهية"، ولن نصِل إلى الماهية، إلا بعد استبعاد الصفات العرَضية للموضوع، بوضع "الموضوع" بين قوسَين، بغرض حصر الخصائص الجوهرية لهذه المحصورات بين القوسَين. وسيأتي: أنه يهدف إلى إقامة أساسٍ يقينيٍّ تُبنَى الفلسفة عليه.

إن "هوسرل" يقوم بعملية "ردٍّ ماهويٍّ"؛ بمعنى رد الأشياء إلى ماهياتها، ويعقبها": "الرد الفنومينولوچي"؛ بأن يوضَع بين قوسَين أيضا: كل ما لا علاقة له بالوعي الخالص، وبعد ذلك يتبقى من "الموضوع": ما هو "معطًى" فقط، ملاحظًا "نظرية القصد"؛ التى تعدُّ دعامةً أصليةً للفنومينولوچيا.

فـ "هوسرل" يسير فى "جانبٍ موضُوعيٍّ"؛ يظهر من رأيه فى الماهيات التي تشتمل حتمًا على "طابعٍ واقعيٍّ"، ويسير فى اتجاه آخر إضافةً إلى الواقعي؛ هو "فلسفته الذاتية"؛ التي تَعتبر "الذاتَ" المصدرَ الحقيقيَّ الذي يَهبُ "المعاني" والدلالات"، «وليست نظرية القصد سوى مجرد تطبيقٍ

(١) راجع مثلا: السابق نفسه، ص١٢٩، ١٤٢. دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٣٢٠، ٣٢٣-٣٣٠.

للمنهج الفنومينولوچي على الذات نفسها، وعلى شتَّى الأفعال الت تقوم بها))[1].

وماذا بعد وصول الفيلسوف لمرحلة "الإيبوخيه"؟ لقد سبق قول "هوسرل": بوجود حركة عقلية – ذاتٍ عاقلةٍ –، وموضوعٍ لهذه الحركة – معقول –، وعلى الإنسان أن يحصر انتباهَه في كلِّ عملية عقلية على حدة، فيشاهد – بالباطن – العمليةَ العقليةَ ذاتها، ويشاهد أيضا: ما تحويه هذه العملية من عناصر، ويشاهد الرابطةَ التي تربط هذه العملية بموضوعها، وبكلمةٍ: يشاهد العقلَ والمعقولَ فى آنٍ واحد. وهذا يغاير الشعورَ العاديَّ؛ الذي ينحصر الانتباه فيه فى محل الشعور فقط؛ أعنى: الموضوعَ. كما أن المشاهدة بالباطن المذكورة هنا، تُغاير المشاهدةَ الباطنةَ الدارجة فى علم النفس؛ ففيها يقترب انحصار انتباه الشخص فى ذاته فقط[2].

إن "هوسرل" يرى: أن على الإنسان أن يردَّ موضوعات العالم الخارجي والباطني إلى الذات. وقصده بذلك: الحيلولة دون اكتساب هذه الموضوعات لأيَّة حقيقةٍ موضوعيةٍ مطلقةٍ، بحيث تصبح الذات فى حالة التقبُّل السلبي لكل أثرٍ خارج عنها، بل يسعى "هوسرل" إلى إكساب هذه الموضوعات "معنًى" من خلال مُرورها على الذات، ثم يستحيل هذا الـ "معنى" إلى "ماهيات حيَّة"، وهذا تطوُّرٌ ملحوظٌ، من كونها مجرد ماهيات مستقلةٍ عن الشعور، إلى كونها "ماهيات حيَّة".

---

(١) دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٣٠. وانظر: قصة الفلسفة الغربية، ص١١٥.

(٢) راجع: فلسفة المحدثين، ص١٤٤، ١٤٥. دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٣١.

ولابد أن تؤسَّس هذه الموضوعات عند "هوسرل" على "الأنا الترنسندنتالي"[١]، وهى ترنسندنتاليةٌ مختلفةٌ تماما عن "الترنسندنتالية الأوَّلية الشارطة" التى قال بها "كانط"؛ فهى عند "كانط": صوريةٌ، ليست أوَّليةً موجودةً فى العقل سابقةً على أيِّ تجربةٍ، بل تتحول موضوعاتها إلى صوَر، هى بمثابة قوالبَ ذهنيةٍ يُعدُّها الذهن ويجهزها، إعدادًا يسبق أىَّ تعامل مع التجربة، فهى تسبق الوجودَ الحقيقىَّ للأشياء وتفارِقُه؛ لتهيِّء لها الشروطَ الأوليةَ التى تحقق الوجودَ الممكنَ لهذه الأشياء.

بل يرى "هوسرل": أنها ترنسندنتالية حيَّةٌ؛ تلازم الواقعَ الحىَّ؛ أى الأشياء عينُها، توجَد مقارِنةً لوجود الأشياء، معاصرةً لها، فى معيَّتها، ليست سابقةً عليها، بل تُلازمها حتى تُكسبَ الوجودَ الواقعىَّ الحىَّ دلالة ما من ناحية الذات. وهى ترنسندنتالية مليئةٌ؛ ليست فارغةً أو شكلية، موضوعاتها لا تتحول إلى صور أو تشكيلات، كما هو الحال عند "كانط"، بل هذه الترنسندنتالية عند "هوسرل": تعلو على الذات، وإذا ما حاولت الذات أن تتجه نحو هذه الترنسندنتالية: اصطدمت الذات بها. وهى أيضا تتَّسم بالطابع الوصفيِّ؛ صاحبُها يصفُ الشعورَ وصفًا صادقًا للأشياء الماثلة أمامه، خلافًا لما عند "كانط"؛ من التزام صاحبها بالصورة الأولية السابقة على أى التقاءٍ مع التجربة[٢].

---

(١) "الترنسندنتالي": المتعالِي على التجربة. راجع عنها: أزمة العلوم الأوربية، ص١٣٠، ٢٩٣. الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٦. ودراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٩، ٣٣٦-٣٣٩، ٣٦٩.

(٢) راجع: أزمة العلوم، ص١٦١، ١٦٩، ٢٩٤. أسس الفلسفة، ص٣٣٥. كانت أو الفلسفة النقدية، ص٨٩. دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٤٧، ٢٥٩. قصة الفلسفة الغربية، ص١١٥.

وماذا عن طبيعة الموضوعات التى هى مجال عمل العقل، وطبيعة العمليات العقلية المدرِكة لهذه الموضوعات؟ يرى "هوسرل": أنهما – الموضوعات، والعمليات العقلية – لا يختلفان فى النوع، بل فى الدرجة فقط؛ ((فإن العمليات العقلية نفسها، قد تكون موضوعات لبحث العقل، ولا يقِلُّ نشاط العقل فى عمله فى الحالة التي يكون موضوعُ بحثه العقلَ نفسَه أو العمليات العقلية، عما إذا كان موضوعه أمورًا أخرى))[1]، والعقل لا يدرك الصفات الخاصة لموضوعاته، والتي صارت الموضوعات بسببها – أى الصفات الخاصة – موجودات جزئية، بل لا يدرك العقل من موضوعاته، سوى صفاتها العامة أو ذواتها، وعند التدقيق نرى: أنه لا يدرك سوى صور المعقولات الأولية، وطريقة هذا الإدراك: هى الذَّوق المباشر، وسبقت إشارة إلى قوله بـ "المشاهدة بالباطن".

المنهج الوصفيُّ عند "هوسرل"

تبيَّن أن الموضوعية الذاتية عند "هوسرل" تبدأ: بـ "تعليق الحكم"، ثم ردِّ وجود الموضوعات والأشخاص إلى الذات، وهذا يقودُنا إلى المرحلة الثالثة من مراحل تطور منهجه الفكري؛ وفيه يسلك "هوسرل" المنهجَ الوصفيَّ؛ إذ لم يبدأ فلسفته من منطلقٍ معيَّن محدد، من خلاله انبثقت سائر خطوات فكره الفلسفي.

كما أنه لم يبدأ من بدهيات مسلَّمة جاهزة تساعد على فهم العالَم الممكن – الواقع بالفعل –، بل سلك مسلك "الوصف الدقيق"؛ ومن خلاله جعل الشعورَ فى مواجهة الموضوعات الخارجية والباطنية فى وقت واحد،

(١) فلسفة المحدثين والمعاصرين، ص١٤٦.

فالشعور يلتقي هذه الموضوعات متمثلةً بإزائه، وفى نفس الوقت ليست مخلوقةً له.

والمرحلة الثالثة للتطور الفكري عند "هوسرل"، هى التى اشتملت على أهَم العناصر المكوِّنة لفلسفته، ويمكن تلخيص الأفكار الرئيسية فى هذه المرحلة؛ وهى: «المعنى القصدي – منهج الإيبوخيه – رد العالم الخارجي إلى الذات – الترنسندنتالية – المنهج الوصفي»(١).

ومعالم الطريق الثالث، الذى رسمه "هوسرل" بين المثالية والمادية، يُضفى على هذه المعالم ما يقوِّى هذا الطريق – الثالث –، وذلك فى كتابه: "التجربة والحكم"، الذى يمثل مرحلة جدَّ هامة فى تطور فكره الفلسفي، وهى المرحلة الرابعة من تطوره الفكري، ورغم أهميتها، إلا أنها لَم تلقَ اهتمامًا كافيًا من بعض الكاتبين عن "هوسرل"، بل قد تُهمَل كلية.

---

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٥٩. وقصة الفلسفة الغربية، ص١١٣، ١١٤. ويمكن القول: إن "الإيبوخيه" يمر بأربع خطوات: الأولى: وضْع التاريخ بين أقواس؛ أى تجاهُل النظريات السابقة الموجودة لدينا. الثانية: وضع الوجود بين أقواس؛ أى البحث عن الماهية، بصرف النظر عن كون الشيء موجودا بالفعل أم غير موجود، والتوقف مؤقتا عن الحكم. الثالثة: الرد أو الاختزال الصوري؛ بمعنى رد الوقائع الجزئية الفردية إلى الماهية الكلية؛ كأن نردَّ أفراد "الإنسان" إلى الإنسانية. الرد الاختزالي المتعالي – الترنسندنتالي -؛ أي رد المعطيات في الشعور الساذج، إلى ظواهر متعالية فى الشعور المحض؛ ويعنى أيضا: التمييز بين الواقعي واللاواقعي. راجع: مدخل جديد إلى الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ص١٢، ١٣٥، ط١، ١٩٧٥م. تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤٦٠.

ووجه أهميتها فى فلسفة "هوسرل": أنها تكشف عن ملامح الواقعية فى فلسفته؛ لأن النتائج التي يمكن أن نستخلصَها مما سبق، صريحةٌ في أن الطريق الثالث الذي اختطه "هوسرل" بين المثالية والمادية، ليقود الفكرَ فيه، هو أقرب إلى المثالية، وليس طريقا مستقلا منفردًا بمعالم – جوهرية – تميزه عن المثالية، أقول هذا، بالرغم من أن مثالية "هوسرل" تختلف – بعض الشيء – عن المثالية السابقة عليها، لكنها على أيِّ حال: مثاليةٌ؛ لأن وجود الأشياء عنده، يدور فى فلَك "الذات" وظِلِّها.

وبعد عمليتَى "الإيبوخيه" وردِّ الذات إلى "ماهيات حية"، تتدخل الذات فى الأشياء كلِّها؛ حتى تُكسب هذه الأشياء "دلالةً = معنًى"، ولا تصبح جوفاء، هذه الـ "دلالة" وهذا الـ "معنى"، منبثقان من زاوية "الأنا" أو "الذات"، لهذا السبب ستصبح ذاتَ صفة مثالية. وهذه النتيجة التى انتهيتُ إليها: تصرِّح بأن فلسفته ذات صبغةٍ "مثاليةٍ".

وفى الوقت ذاته، فإن "هوسرل" يُبرز أفكارًا واقعيةً، يدعونا إلى ضرورة الإشادة بها؛ فقد سبقت إشارة إلى "البداهة الشعورية"، وبجانبها يتحدث "هوسرل" عن وجود ما يسمى "بداهة أصلية" سابقة على كل البداهات، شعورية كانت أو عقلية؛ «وهى بداهة الأشياء في تشكيلاتها الموضوعية وفى تجمعاتها المادية التى تربطها في الطبيعة»[1].

كما توجَد معطيات تواجه الشعورَ، ويرى "هوسرل": أنه توجد أيضا معطيات تسبق المعطيات الباطنية. كما يتحدث عن الظواهر الطبيعية الموجودة في العالَم وتداخلها وحركتها وما يتعلق بها، بصورة توحي بقيام

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٠، وراجعه، ص٢٤٧-٢٤٩. ودراسات في الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٥، ٣٢٦.

وحدةٍ موضوعية للشعور، هذه الوحدة متحققةٌ تحققا مستقلا عن الشعور وتسبقه في نفس الوقت.

فبعدما كانت "الفنومينولوچيا" وصفيةً بحتةً، أرادها "هوسرل" تجريديةً، فصبَغها في بعض مراحل تطوره الفكري بصبغة واقعية ظاهرة؛ فيقول مثلا: «إن أعيان الموجودات الطبيعية – وهى تختلف عن العمليات العقلية من حيث هي عمليات عقلية، وتختلف عن المعقولات الكلية – لا يمكن أن تدرَك إدراكًا إلا جزئيًّا، أو أنها تدرَك على نحو ما يدرَك الجسم المنظُور، ولهذا تظهر لنا دائما كأنَّ فى ذاتها الحقيقية من صفات الشيئية أو العينية ما لا ندركه منها في تجربة من تجاربنا»(١).

وحديثه عن هذه الموضوعية، يجعلنا نقطع: بأنه صادقٌ فى سلوكه مراحل الطريق الثالث، الذي اعتبر نفسَه من المخلصين فى تمهيده والدعوة إليه. وحديثه فى هذه النماذج وغيرها عن "الاتجاه الواقعي"، يمثل المرحلةَ الرابعةَ من مراحل تطوره الفكري، لكن حديثه عن "الواقعية" لا يُلهينا عن ميله فى الواقع إلى المثالية، بل إن نظريته المثالية أثَّرت فى فلسفته "الفنومينولوچية" من أول أمرها(٢). مع ملاحظة: عدم قوله بـ "الواقعية المادية"؛ التى تفرض علينا التسليمَ بوجود "الماديات"، تسليمًا غير قابل للنقاش أو الاعتراض، فهو تسليمٌ يسبق توجهَ الشعور تجاه العالم الخارجي(٣).

---

(١) فلسفة المحدثين والمعاصرين، ص١٤٥. وانظر: مباحث منطقية، ج٢ ص١٣٣. وقارن: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٣١.

(٢) راجع: فلسفة المحدثين والمعاصرين، ص١٤٦. ومدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٦٠.

(٣) راجع: قصة الفلسفة الغربية، ص١١٣.

فلسفة "الأشياء ذاتها" عند "هوسرل"

إن "هوسرل" يهدف من فلسفته: إلى إقامة أساس يقينيٍ تقوم عليه العلوم عامة، والفلسفة خاصة، إنه يهدف إلى الوصول إلى "الماهية"؛ لذا عُرفت فلسفته: بأنها «طريقة الفكر التى نبحث بها إدراك ماهية "المعطيات"، عن طريق تحليلٍ مماثلٍ للتحليلات التى أتينا بها»[(١)]، وأعلى مصدر عنده لكل إثباتٍ عقليّ: هو "الرؤية"، أو كما قال هو: "الوعى المانح الأصلي"[(٢)]، ومجال فلسفته: هو البحث في "الأشياء ذاتِها"، فماذا يعنى مصطلح "الأشياء ذاتها" عنده؟

أوَّلا: قبل الجواب، من الضروري أن أُلقىَ نظرةً سريعةً على موقف بعض الفلاسفة السابقين من "الأشياء":

إنهم لم يثقوا بـ "الشيء" الثقةَ المطلَقة، فمعلومٌ أن "أفلاطون" يعتبر الأشياءَ ظِلًّا وشَبحًا لِما فى عالَم المُثُل – الحقيقي-. و"الشيء" عند "أرسطو": موجودٌ بالقوة، ولا يوجَد بالفعل إلا من خلال "الصورة"[(٣)].

و"ديكارت" يرى: أن الوجود الواقعىَّ لقطعة الشَّمع مثلا، متمثلٌ في الامتداد العقلي لها، فإذا تصورنا هذه القطعة، فإنَّا نتصور "صفة الامتداد"؛ لأن "ذات الشيء" – القطعة – ليس لها وجودٌ حقيقىٌّ[(٤)].

---

(١) مدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٦٥.

(٢) راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٣٠.

(٣) راجع: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٧٢-٧٥، ٨٤، ١٣٦.

(٤) راجع: التأملات، ص١٠٤-١١١، ١٣٧. حكمة الغرب، لبرتراند رسل، ترجمة: د/ فؤاد زكريا، ج٢ ص٧١، ٧٢، المجلس الوطني للثقافة-

و"باركلي"[1]: لا يفرق بين "الوجود" و"الإدراك"؛ فيرى: أن وجود الشيء هو إدراكه[2].

و"كانط": أخرج "الشيءَ" – الجوهر– من العالم المادي وأدرجه ضمن "المقولات العقلية"، ويرى: أنها لا تمثل الوجودَ الحقيقيَّ للشيء في العالم المادي، بل تعني باختصار: أنه موجودٌ وجودًا نظريًّا[3].

الكويت (سلسلة عالم المعرفة)، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م. ثم قارن: مدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٦٣، ٦٤.

(١) "جورج باركلي" (١٨٦٥-١٧٥٣م)، وُلد بأيرلندا، لأسرة انجليزية، واطلع على العلوم التقليدية فى عصره، واشتهر بالنبوغ الفلسفي وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره. وأهم ما يميز فلسفته: قوله: إن وجود أى شىء، يساوى كونه مدرَكا. وحاول تصحيح بعض أفكار "لوك"، وحاول تقديم نظرية جديدة للإبصار. راجع: مباحث منطقية، لهوسرل، ج٢ ص١٤٦، ١٦٨، ٢١٨. حكمة الغرب، ج٢ ص١٢٠-١٢٩. باركلى، د/ يحيى هويدي، ص١١-١٨، دار المعارف، ١٩٦٠م.

(٢) راجع: حكمة الغرب، ج٢ ص١٢١. قصة الفلسفة الغربية، ص٦٤، ٦٥. ثم راجع فى تحليل مقولة "باركلى" المذكورة: باركلي، د/ هويدى، ص٤٤، ٦٨، ٧٧-٩٦، ١٣٧.

(٣) راجع: حكمة الغرب، ج٢ ص١٥٩. تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٢٣٦، ٢٣٧. كانط أو الفلسفة النقدية، ص٨١. و"المقولات": ((هى المباديء العامة للعقل، التى يُضفيها الذهن من عنده، من أجل تشكيل التجربة فى صورة معرفة)). حكمة الغرب، ج٢ ص١٥٩. وانظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٢٠. قصة الفلسفة الغربية، ص٧٥. المنطق وفلسفة العلوم، ص٣٩-٤٧.

بينما حاول "هيجل"[1] الاقترابَ من "الأشياء ذاتها"؛ فقال: إن "الشيء" – الجزئيَّ – مرتبطٌ بـ "الهنا" و"الآن"؛ أى مرتبطٌ بنقطة زمانيةٍ ومكانيةٍ، لكن الجزئيَّ لا يدرَك إلا من خلال الكلي، و"الهنا" وكذا "الآن" لا يراد بهما المعنى الجزئي المعيَّن، بل يطلَقان على أماكن وأزمان متعددة، وبهذا يكون "الشيء الجزئي"، عنده لا يعدو أن يكون مَظهرًا من مظاهر الكلي وتشكيلا من تشكيلاته، وبذلك يفقد "هيجل" ((الأشياءَ ذاتها، ومن ثَم راح يبحث عن تاريخ الشعور أو الوعي الذاتي في إدراكه للأشياء وفى تعرُّفه على نفسه، بدلا من أن يبحث عن هذه الأشياء نفسها))[2].

ثانيا: إن "هوسرل" يقصد بـ "الشيء": "المعطَى"؛ ويراد به: ((ما نراه أمام وعينا. هذا الـ "المعطى" يسمَّى: "ظاهرة"؛ لأنه يظهر أمام الوعي))[3]،

---

(١) "هيجل": هو "جورج ولهلم فريدريك، ١٧٧٠-١٨٣١م": أكبر ممثِّلي الاتجاه المثالي فى الفلسفة الحديثة. درَس اللاهوت فى جامعة توبنجن، وأخَّر نشر مؤلفاته حتى يفرغ من تكوين مذهبه بجميع تفاصيله. من مؤلفاته: فينومنولوچيا الذهن، والمنطق. عُرف أسلوبه بـ: الغُموض، والتعقيد، والاشتمال على مصطلحات غزيرة. راجع: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٢٧٤-٢٨٧. المعرفة، ص١٣٩-١٥٩. نظرات فى الفلسفة الحديثة، ص٢٢٩.

(٢) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص ٢٦٢. وانظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٢٧٥-٢٧٨. والمعرفة، د/ الشنيطي، ص١٥١-١٥٥.

(٣) الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٣٠، وانظره، ص٢١٩. ومباحث منطقية، ج٢ ص٢١٩. وأزمة العلوم، ص٢٥٧، ٢٦٠. مدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٦٥. ودراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٣. وقارن: مفهوم الروح عند ماكس شلر، ص١٨٤.

فأخص خصائص "الفنومينولوجيا": أنها منهجٌ، ينحصر فى وصف "الظاهرة"؛ أى وصف ما هو "معطى" مباشرة.

ثالثا: لقد قدم "هوسرل" أفكارًا تصرح أنه جاء ليبحث فى "الأشياء ذاتها"، هذه الأفكار هي:

الفكرة الأولى: فكرة "الاتجاه القصدي": ويعنى بها أن الفعل الصادر عن الوعي أو الشعور، لابد أن يكون له – الفعل – موضوعٌ وهدفٌ معيَّنٌ مغايرٌ له، يتَّجه صوبَه ويسعى للالتقاء به، حتى يَخرج الشعورُ من "التقوقُع" والانحصار داخل نفسه، فيصبح فارغًا لا مضمون له، فعنده لا يسمَّى الـ "الفكر" فكرًا، إلا إذا كان منصَبًّا على شىء معيَّن لهدفٍ معينٍ. والموضوع الذى يتجه الفعل نحوه: مغايرٌ له – كما سبق –، وقد يكون ماديًّا، أو ماهيةً عقليةً، أو أثرًا من آثار التذكُّر أو الانفعال أو نحو ذلك، وفى كلا الأحوال، ليس من جنس الفعل الذى تَم به الشعور أو التذكر أو الانفعال، ووجود الموضوع المذكور تجاه الشعور، هو ضمان عدم "تقوقُع" الشعور، ويعبر "هوسرل" عن فكرة "المعنى القصدي" بتفرقته بين "فعل التفكير" و"موضوع التفكير"(١).

والفكرة الثانية: هى تفرقة "هوسرل" بين "الشعور التأليفي" و"الشعور الواضع لموضوعه"؛ فمهمة الأول – التأليفي–: أنه يُضفى على الموضوع صورةً تأليفيةً لم تكن موجودةً فيه من قبل، بينما تنحصر مهمة الشعور الثاني – الواضع لموضوعه –: فى وضع موضوعه تجاهَه، ولا يرى من

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٢. وقصة الفلسفة الغربية، ص١١٥. وراجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٨١. ودراسات في الفلسفة المعاصرة، ص٣٣٠، ٣٣١.

أن مهامّه إضفاءَ أيِّ صورة من جانبه على عناصر هذا الموضوع. والشعور التأليفي لا دخل له فى إتمام عملية إدراك الأشياء، ولنضمن عدم تدخله فى ذلك، يرى "هوسرل" وجود طبقة أساسية من طبقات الشعور الأساسي، هذه الطبقة هي "الشعور" فى أول مراحله، هى الشعور قبل أن يتدخل العقل بدور التأليف المعقَّد، و((هذا الشعور الأساسي، يواكب الشعورَ الواضعَ لموضوعه؛ لأن وظيفة كلٍّ منهما، قائمةٌ في رفض التأليفات الذهنية التي تُباعد بيننا وبين الأشياء ذاتِها))[1].

الفكرة الثالثة: وهى تدليلٌ وتدعيمٌ من "هوسرل" لقوله: إنه يبحث فى "الأشياء ذاتها"، وتدور هذه الفكرة، حول القول بوجود لفظتَين فى اللغة الألمانية، كلٌّ منهما تدل على "الشيء"، هما: (sache)، (ding)، غير أن اللفظة الأولى تفيد: أن الشيء موجودٌ وجودًا مستقلا استقلالا مطلقًا عن أيِّ شيء أو منفعة، بينما تفيد الثانية: معنى الشيء مقترنًا بمصلحةٍ أو منفعةٍ شخصيةٍ، أو كونه وسيلةً لفكرةٍ جماليةٍ أو أخلاقيةٍ خاصةٍ، أو كونه وسيلةً للتذكير بحدَث معيَّنٍ، إلى آخره، وبكلمة واحدة: لا تدل على "الشيء" مستقلا، كما تدل اللفظة الأولى.

رابعا: ماذا يقصد "هوسرل" بالتعرُّض لهاتين اللفظتَين ودلالتهما؟ إنه يستدل على أن الإنسان كثيرا ما ينظر إلى شىء واحدٍ بنظرتَين مختلفتَين تخلطان بين معاني الشيء الواحد، مع صعوبة التنبُّه إلى هذا الخلط؛ فيخلط – الناظر – بين: الشىء باعتباره أداةً ووسيلةً إلى غيره، والشيء مجرَّدًا؛ أي مستقلا؛ فأنا أنظر إلى هذه المنضدة وأدركُها أمامي، لكنى

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٣. وانظر: قصة الفلسفة الغربية، ص١١٧.

أنظر إليها باعتبارها أداةً يوضَع عليها الطعام لتناوُله، وأنظر إليها نظرة أخرى، باعتبارها أداةً إذا جلستُ بجوارها وضعتُ ذراعي عليها أثناء الاسترخاء.

فبهذه النظرة لا أكون أمام "الشيء" المنضدة ذاتها، وربما تثير هذه المنضدة فى ذاكرتي أحداثًا ومواقف حدثت إزاءها، فإدراكها – المنضدة – بصورة ذهنية معينة، توقظ الخيالَ من سُباته، فينسج حولَها صوَرًا وتهاويل... إلى آخره، وحين يحدث هذا عند إدراك المنضدة، فلستُ مدركًا للمنضدة ذاتِها، بل إن إدراكي لها يخضع لمقولةٍ ذهنيةٍ خاصة، وإدراكي لها يخضع «إلى قانون علميٍّ معيَّن، أو إذا نقلتُ وجودَها إلى المعمل، فأصبح وجودًا تجريبيًّا مصطَنعًا، أو إذا اهتممتُ بتحديد موضعها في المكان تحديدا علميًّا هندسيًّا، أو إذا اهتممتُ بالطريقة العلمية التي يتمُّ بها انكسار الأشعة الضوئية عليها،... إلى آخره»[1].

هذه الإدراكات صريحةٌ في أنّي لستُ مدركًا للمنضدة نفسِها، وهذا مفسدٌ لإدراكي للمنضدة بذاتها كما هي في الواقع، باعتبارها منضدة لا غير، وليس باعتبارها أداةً من خلالها أحقق منفعةً أو تثير عندي ذِكرَى أو شعورًا أو معنى جماليًّا أو غير ذلك.

خامسا: هذه الإدراكات وهذا الخلط بين معنيَي الشيء الواحد، تَحُول دون تحقيق إدراك هذا الشيء إدراكًا صحيحًا؛ لأنه يغلِّف الشيءَ – موضوع الإدراك – بأغلفة؛ أي دلالات، أجنبية عن الإدراك نفسه.

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٤. وانظر: قصة الفلسفة الغربية، ص١١٧. والنفسانية المنطقية عند جون ستيوارت مل، ص١١٩-١٢٣.

ولا يليق بنا أن نقف موقفًا سلبيًّا من هذه الأغلفة، بل يجب السعى إلى إزالتها، ويساعدنا على ذلك، تطبيق منهج "الإيبوخيه"، ووضع هذه "الدلالات" بين قوسَين، وبذا يمكننا الوصول إلى الإدراك فى صورته البِكر الأولى، ويَمثُل الشيءُ ذاتُه بحقيقته الذاتية الخالصة أمامنا مباشرة، بعدما تمَّت تنقيته من هذه الشوائب – الأغلفة – التي مثلت غشاوةً على الإدراك الحقيقي لذات الشيء.

ولن يتحقق الوصول إلى هذه المرحلة، إلا بالتفاني في الإخلاص والصدق والموضوعية أثناء تطبيق منهج "الإيبوخيه"، وهذه الموضوعية لن تتحقق إلا باستبعاد النظرات الهامشية – الأغلفة أو الدلالات – «التى تحمل إلى الموضوع المدرَك "تأليفا" من هذه التأليفات الكثيرة التي قد تفيد الإنسان إذا أراد أن يؤلف الإدراكَ، لكنها تصبح عقبةً فى الإدراك إذا كان الإنسان لا يهدف إلا إلى الإدراك نفسه»(١).

فنحن الآن أمام شعور تأليفيٍّ وشعور أساسيٍّ، أما التأليفات التى أفادت الإنسانَ في الإدراك، فتملأ الشعورَ التأليفيَّ، لكن لا يليق بها أن تَبقى فى الشعور الأساسي، بل لابد أن تتلاشَى؛ لأن هذا الشعور يكتفي بوضع موضوعه – كما سبق –، كما أن هذا الشعورَ – الأساسي– هو فقط الصالح للُّجوء إليه لإتمام عملية إدراك الأشياء أنفسها.

سادسا: هذا موقفٌ إيجابيٌّ تمثَّل فى عدم إجهاد النفس وركوبِها الصعابَ في تتبُّع دلالاتٍ هامشيةٍ تُعرقِل عمليةَ الإدراك وتمنع تحقيقَها، إذا تمَّ هذا الموقف الإيجابي على النحو السابق، أمكن صاحبه أن يقرر بثقة

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٥.

كاملة، أنه أدرك الشيءَ بحقيقته وعرفَه معرفةً صحيحة حقيقية جامعةً مانعةً.

سابعا: حتى يحقق "هوسرل" الهدفَ من فلسفته؛ أعنى الوصولَ إلى "الماهية"، لم يسلك "هوسرل" المنهج الاستنباطي ولا التجريبي ولا استخدام القوانين، بل ركز على إبراز ما هو "معطى"، ثم إيضاح هذا الـ "معطى"، وسيلته فى ذلك: العلاج المباشر لما يَمثُل أمام الوعي؛ أعني: الموضوع؛ فيتعامل مباشرة مع "ما هو معروف" أو ما هو مشكوكٌ فيه، أو ما هو محبوبٌ، أو ما هو مكروه، وهكذا، ولا يُولى اهتمامه المباشر لـ "الفكرة الذاتية" ولا للعمليات التي تصدر عن الذات.

لذا رفض القول بـ "المُثُل الأفلاطونية"؛ التي تقول إن "الكليات" موجودة بذاتها وفى ذاتها، لكن في عالم مفارِق، فرفَضها لأن موضوعاتها ليست حقائق واقعية، ويرى: أن القول بـ "المُثل" لن يكون صحيحا إلا فى حالة واحدة فقط؛ هي: أن تكون كل الموضوعات حقيقيةً، و"هوسرل" بذلك يسعى إلى تأسيس المعرفة على دعامة "معطيات"؛ لذا ربما يسمِّى نفسَه بـ "الفيلسوفِ الوضعيِّ"، رغم نقده اللاذع لفلاسفة الوضعية[1].

فلسفة "الأشياء ذاتها"، ونظرية المعرفة

هذه الخطوات المتلاحقة فى السعي إلى إدراك الشىء بلحمه ودمه، توحِي بتطورٍ في نظرية المعرفة؛ أعنى: تطور فهم العلاقة بين طرفَى المعرفة: الذات وموضوع المعرفة، أثناء عملية الإدراك؛ ففى الفكر

(١) راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٢٣٠، ٢٣١. دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٢٧، ٣٢٨. والتعليق على: مدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٦٥.

الفلسفي: نظرية توحي باعتقاد بعض الفلاسفة، ضرورةَ الاهتمام بتحديد دور الشخص فى عملية الإدراك، والْتِفاته إلى الصور والتأثرات الحسية الجوهرية للشيء محل المعرفة. ثم حاول الفلاسفة المعاصرون، عدم الاقتصار على الالتفات إلى النواحي المذكورة عند السابقين، بل لابد من العمل على إيجاد صوَرٍ أخرى لنظرية المعرفة.

أما "هوسرل" فيقرر – وفقا لبحثه فى الأشياء ذاتها –: أن الهدف الأساس من المعرفة: هو الوصول إلى إدراك الشىء ذاته، أما ما يحيط بهذا الشىء من جوانب نفعية أو جمالية أو علمية أو نحو ذلك، فلا علاقة له بمعرفة الشيء ذاته.

بينما يقرر "برتراند رَسْل"(١) – وفقًا لاتجاه فلاسفة الذَّرية المنطقية –: أن المعرفة المباشِرة والموضوعَ الذى ألتقى به مباشرة أثناء المعرفة، هو ذرَّاتٌ حسيةٌ؛ مرتبطةٌ بحاسة من الحواس؛ كلمس الأصابع ونَبرة الصوت، أما معرفة الشيء بلحمه ودمه، فهي معرفةٌ بالوصف لا غير(٢)، فنحن لا

---

(١) "برتراند رسل": فيلسوفٌ انجليزىٌّ، وُلد لأسرة أرستقراطية، (١٨٧٢م)، وعاش قرنًا كاملا، وعُرف بغزارة الإنتاج الفلسفي، مع ميول سياسية، وميول ضد الدين. وُضع إنتاجه الفلسفي فى شكل ميسَّر للجماهير، فأثر على الفلسفة الأوربية فى القرن العشرين. كان يرى فى "الرياضيات" مثلا أعلى للفلسفة، متأثرا بأفلاطون، ثم تحول عن هذا الرأى، ونظر إليها على أنها مجرد أداة للعلم وتيسيره فقط. ونادَى بضرورة استخراج الفلسفة لأحكامها من علوم الطبيعة، وليس من الدين ولا الأخلاق، ومال إلى "الاتجاه الواقعي الجديد" فى الفلسفة. راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٧٩-٩٢. ومقدمة كتابه: حكمة الغرب، ج١ ص٥-١٤.

(٢) راجع: الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ص٨٧-٨٩.

نعرف الشخصَ بحقيقته الجوهرية، بل نعرِفه باسمه الموضوع له، هذا الاسم مختصَرٌ لوصف الشخص الذي يحمله، والطريق إلى معرفة خصائص الشيء، هو القضايا أو الجُمل اللفظية(١).

ويضيف "هوسرل": وجودَ علاقة تبادليةٍ بين الحواس والشيء المدرَك حين إدراكه؛ فحين يحاول الإنسان معرفةَ الشيء المواجه له، تؤلف الحواس بين الصفات المحسوسة لهذا الشيء(٢)، وتسمَّى عملية التأليف الحسي المذكورة عند "هوسرل": "التأليف الاستاطيقي"، وهو نفس الاسم الذى سماه به "كانط"(٣) للدلالة على نفس المعنى الذي ذكره "هوسرل".

وبالمثال يتضح المراد بـ "التأليف الحسيِّ" المذكور: فأنا أرى أمامي الآن هذا الكتاب، والحواس تحدد له صفات معينة، من عدد صفحاته ووزن أوراقه ولون الكتابة... إلى آخره.

والسؤال: هل يمكن إدراك هذه الصفات جملةً؟ والجواب عند الفلاسفة: أنه من الصعب على العقل أن يجمع بين هذه المتناثرات الحسية فى آنٍ واحد، لذلك يرتفع الإدراك من هذه الصوَر الكثيرة المبعثَرة أمامه للكتاب، إلى صورةٍ مجردةٍ له، هذه الصورة تكُون – والحالة هذه – صورةً ذهنيةً.

وينبغي الارتقاء بالتجريد إلى صورةٍ أرقَى، ووسيلة ذلك: السعى إلى إدراك الكثرة المذكورة الحاصلة من التأليف الذهني عن طريق المقولات.

غير أن "هوسرل" لم يرتضِ هذا الجوابَ من الفلاسفة؛ لأن هذا الجواب يسعَى صراحة إلى مغادرة المحسوس بكيفياته الحسية العارضة، وكيف

(١) راجع: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٦.
(٢) راجع: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٣١.
(٣) راجع: المعرفة، د/ الشنيطي، ص١٢٨، ١٣٢. وقصة الفلسفة الغربية، ص٧٩، ٨١.

يحاولون مغادرةَ المحسوس، مع أن الشيء الماثل أمامي مدرَكٌ لي عن طريق حاسة البصر، فهو خاضعٌ لها، ورغم ذلك لا يمكن إدراكه بالبصر دَفعةً.

ولا يقتصر إدراكي للشيء على إدراكه بالبصر فقط، بل لهذا الشيء جوانب متعددة، لذا يتحتَّم تقليب البصر – ويساعده الفكر – فيما يحيط بالشيء، ليتسنَّى اكتشافَ جوانبه المبصَرة المتعددة.

إن الشخص يبدأ إدراكَ الشيء باكتشاف جانب واحد من جوانبه المرئية، أما سائر جوانب الشيء التي تَخفى على البصر، فتشارك الجوانبَ التى سبق للشخص إدراكها، ثم تظهر له تدريجيًّا بعدما كانت خفيَّةً عليه، وكلما ألقى مزيدا من الضوء عليها، كلما زادت صورتها ظهورًا ووضوحًا.

ونقول مع "هوسرل": «إن رؤيتى للشىء، لا تتم أبدا فى الحاضر؛ لأن لكل رؤية مستقبلا؛ وذلك لأن إدراكي للشيء لا يكون أبدًا تامًّا، إنه يشير إلى أُفق أو مجالٍ من الإمكانيات اللامحدُودة فى الإدراك»[1].

وكما سبق، ليست حاسة البصر فقط هى السبيل الأوحد لإدراك الشىء، بل هناك حواسٌّ أخرى؛ فمثلا تتعاون "حاسة اللمس" مع حاسة البصر فى إتمام عملية الإدراك، وهذا ما أدركه "باركلى" فى القرن الثامن عشر[2]، وأكده "هوسرل" من بعده فى القرن العشرين، ولا يَخفى أن التعاون بين

(١) نقلا عن: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٨.

(٢) راجع: حكمة الغرب، ج٢ ص١٢٠-١٢٩. باركلي، د/ هويدي، ص٣٦، ٤٩-٦٥. وانظره عن تأثر "هوسرل" بـ "باركلي": ص١٣٥.

هاتَين الحاستَين مرتبطٌ بتعاونِ وتوافقِ حركات العينَين وعضلاتهما، مع حركات اليد والأصابع.

فـ "هوسرل" يرى: أن المعرفة لا تُشْبه الصندوقَ، بل تقارَن بمصدرِ ضوء، «فإذا وقع شعاعٌ ضوئيٌّ على شيء في الظلام، فإن هذا الشيء يكون في الضوء، ومع ذلك، فإنه ليس داخلَ مصدر الضوء»(١).

وبذلك أكون تتبعتُ المعرفةَ خطوة خطوة وفقًا لفلسفة "هوسرل"، وهذا التتبع يكشف لنا سرَّ تسميته للإدراك "تأليفًا"، ثم تسميته: بـ "التأليف الاستاطيقيِّ" أو "التأليفِ في الحساسية"، وليكون هذا التأليف مُجديًا، لابد من التجرُّد والموضوعية؛ باستبعاد أيِّ اعتبارات نفعيةٍ أو جماليةٍ أو علميةٍ أو نحو ذلك؛ لأن هذه الاعتبارات تُفسد الإدراكَ الحقيقيَّ – المجردَ – لذات الشيء.

ولا يقصد "هوسرل" بـ "التجريد" الارتقاءَ من الحسيات إلى الذهني العقلي، بل يقصد به معنًى خاصًّا، يتحقق في ضوء الحسيات، لا بمعزلٍ عنها، وذلك بعد تنقيَة هذه الحسيات من الشوائب التي تأخذ بعقل الرجل العادي في مواقفه العادية من الحياة، ويكتفي بها على هذه الصورة – السطحية – ويقتنع بها، بل لابد من تنقيتها، بقصد عدم الوقوف بها عند معناها السطحي الساذَج، بل يغوصُ في المعنى العميق والمغزَى النافع لهذه الحسيات، قاصدًا كُنهَ الشيء وجوهرَه، فبالتنقية ثم الغوص ثم الوصول إلى جوهر الشيء، يتحقق الإدراك العميق. وهذا يعني: أن الإدراكَ

(١) مدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٦٠.

الأولَ – السطحيَّ – الذى اقتنع به الرجل العادي، لا قيمة له عند الفيلسوف؛ لاختلاطه بشوائبَ لا علاقة لها بالإدراك الحسي الحقيقي[١].

إن الشروع فى تحقيق الإدراك، يبدأ بملاحظتنا أن الشىء قائمٌ فى مكانٍ ما أو فى جزءٍ من المكان، وهذا الإدراك لا يمثِّل شيئا من إدراك الشىء بذاته؛ فإدراكي لصوت المُغنِّى مثلا، رغم أنه إدراكٌ حسيٌّ، إلا أنه لا يتعلق بإدراكي له باعتباره يشغل مكانًا أو جزءًا من مكان؛ وعلة ذلك: أنِّى أدركُ هذا الصوت على أية حال كنتُ عليها، فى البيت أو فى السيارة أو قريبًا من المُغنِّى أو بعيدًا منه... إلى آخره، فرغم انتشار هذا الصوت فى أماكن متعددة، لكن إدراكي له ليس متوقفًا على هذا المكان المادي؛ لأنِّي أدركتُه بالفعل وتذوقتُه دون ربطه بمكان معيَّن.

ونفس الشىء يقال فى إدراكي لسائر الماديات؛ «فإدراكي لها لا يتمُّ باعتبار أنها قد استحالت إلى مجرد أجزاء من المكان، بل باعتبار أنها "امتدادٌ" للمكان. وبعبارة أدق: باعتبار أنها امتدادٌ متحركٌ فى المكان»[٢]، وفرقٌ بين إدراك الشىء على أنه جزءٌ من المكان، وإدراكه على أنه "امتدادٌ" متحركٌ فى المكان؛ إن إدراكه على أنه امتدادٌ متحركٌ فيه، يمنع من تصوره على أنه جزءٌ من المكان غير قابل للانفصال عنه.

إن "هوسرل" يعوِّل على فكرة "الامتداد" كثيرًا فى موضوع المعرفة، وحتى نفهم "الامتدادَ" بصورة أوضح؛ فإنَّا ننظرُ فى جسمٍ حيٍّ كالإنسان مثلا، لا شك أنه فى جزءٌ من المكان، يتحرك فيه، وهذا معنى قولنا: الإنسان ممتدٌّ فى مكانٍ، لكن ليس جسم الإنسان فقط هو الشاغل للمكان الممتد فيه؛

(١) راجع: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٨، ٢٦٩.
(٢) نفس الصفحة السابقة.

لِما أن الإنسان ليس جسمًا فقط، بل جسمٌ وروحٌ معا، فعند حديثنا عن امتداد الإنسان فى مكان، لا يليق إغفال تكوينه الطبيعي – من جسمٍ وروحٍ –؛ فإذا شاهدنا أناسًا على الطريق يتحركُون، ليس دقيقًا أن يقال: أجسام الناس تشغل الطريقَ، بل الأدق أن يقال: الناس يشغلون الطريق؛ لِما أن الممتد فى المكان بالفعل، ليس أجسامَهم فقط، بل وأرواحَهم الملازِمة لأجسامهم(١).

والحديث عن "الامتداد" ومفهومِه، مقترنٌ ولابد بالـ "مكان"، ومع ذلك فحديثنا عن "هذه القطعة" من المكان، التي يحلُّ فيها الجسم، لا يمثل شيئا من إدراكنا لجوهر الشىء وحقيقته؛ لأن موضوع إدراكنا المتوجه إلى ذات الشيء، هو من جهة كونه جسمًا ممتدًا في المكان، وهذا يشغل الذهنَ عن التفكير فى أن هذا الجسم قد استحال إلى كونه مجرد قطعة من المكان لا غير، فالعامل النفسي – الذى يدخل ضمن تصورنا للامتداد – ليس له علاقة بالمكان.

لذا فرَّق "هوسرل" بين أمرَين: "الانتشار فى المكان"، و"الامتداد فى المكان"؛ أما المراد بـ "الممتدِّ فى المكان" فيُفهَم مما ذكرتُ، وأما "المنتشر" فى المكان: فهو الأجسام الحيَّة التي تتحرك فى هذا المكان، ويخلع "هوسرل" على ذلك اسم: "الجسمانية المكانية"، وهذه الجسمانية ليست وصفًا ماديًّا – محسوسًا – للشىء؛ بل هى تُضفى بُعدًا ماديًّا على إدراكنا

(١) راجع: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٧٠. وقصة الفلسفة الغربية، ص١١٦. ثم قارن: مدخل إلى الفكر الفلسفي، ص٦٢-٦٧.

للشيء، وتشكِّل جانبًا جوهريًّا من جوانب إدراكنا للشيء ذاته. وبذلك يُضفى "هوسرل" على "الامتداد أبعادًا جديدةً".

لكن هل معنى "الامتداد" عند "هوسرل"، هو نفس معناه عند "ديكارت"، الذى عرَّف "الشيءَ" المادىَّ: بأنه "الامتداد"؟ الظاهر: أن "ديكارت" يتحدث عن "الامتداد فى المكان الرياضي"، ولم يتعرض فى حديثه لـ "الامتداد الحيِّ فى المكان" بنفس معناه المذكور عند "هوسرل"(١)، وتبعه فيه فلاسفة الوجودية. وعلى كلٍّ، فإن تعريف الجسم بأنه "امتدادٌ"، هو خطوة جادةٌ من خطوات إدراك الأشياء ذاتها.

والحديث عن "الامتداد" و"المكان" و"الامتداد فى المكان" لا يكون تامًّا بدون الحديث عن "الزمان"؛ فإدراك الشيء ذاته – وفقا للمراد بالجسمانية المكانية – يحمل فى طياته: "الزمان" أيضا؛ لأن هذا الإدراك لابد أن يتمَّ في "لحظة من الزمان"، فالزمان ركنٌ جوهريٌّ فى إدراك الشيء ذاته، وهذا التصور المرتبط بالزمان والمكان والامتداد، يقرِّب الفهمَ من "الشيء ذاته"، ويُبعده عن التصور المادي للشيء ذاته، هذا التصور – المادي – الذي نتج عن الحديث عن "المكان" وأن الشيء قطعة من هذا المكان. وأيضا التصور المذكور يُبرز الشيءَ على أنه مجموعةُ صوَر تتوارد على الزمان، وهذا يعنى: أن "الشيء" قابلٌ للامتداد فى الزمان، كما قبِل الامتدادَ فى المكان(٢).

---

(١) راجع: مقدمة د/ عثمان أمين، لكتاب: مقال عن المنهج، لديكارت، ص٢٦، ٢٧، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٠م. تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٧٩. دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٧٠.

(٢) راجع: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٧١. وقارن: كانت أو الفلسفة النقدية، ص٧١. المعرفة، د/ الشنيطي، ص١٣٠، ١٣٤.

"الشيء" إذن يدرَك ممتدًّا فى مكان وفى زمان أيضا، لكن هذا الشيء ليس معزُولا عما حولَه من أشياء، بل يتجاور – ضرورةً – مع أشياء أخرى، فى مجالٍ ضوئيّ، هذا المجال الضوئي يؤثر فى تحديد وجه علاقة هذا الشيء بما يجاوره، ويغيّر هذه العلاقة، وهذا يعنى حتما، أن المجال الضوئيَّ يؤثر فى صفات الشيء الظاهرة؛ كلَونه، ودرجات هذا اللون، وشكله، وحجمه، إلى آخره.

وبالرغم من تنوُّع وتغيُّر هذه الظواهر للشيء، إلا أنه يظل على درجةٍ ثابتة من لونٍ واحدٍ، ما هنالك، أن درجات هذا اللون متفاوتةٌ، أما جوهر الشيء ذاته: فهُو هُو[1]، لا تَغيُّر فيه، وهكذا يقال فى سائر الصفات الأخرى للشيء؛ لأنه ما سُمى "شيئًا" إلا لاحتفاظه بحقيقته وذاتياته، وسط تغيُّر المَظاهر والصفات المتواردة على ظاهره.

وبعدما سبق، يمكن القول: إن مصطلح "الأشياء ذاتها" يعنى عند "هوسرل": الأشياءَ عينها أو نفسها. خلافًا لتفسير "كانط"؛ الذى يرى: أن مصطلح "الأشياء فى ذاتها = النومين" يراد به: الجانب المستور من هذا العالَم، وهو يفترض وجودَ هذا الجانب من العالَم ويسلِّم به، ويرى: أن معرفته وإن كانت ممكنةً، إلا أننا لا نصِل إليها. أما مصطلح "عالَم

(١) ألا يذكِّرنا هذا، بأصالة الفكر السُّني؛ التى تَبرز من المقولة الشهيرة لـ "النجم النسفى" فى عقائده: (حقيقة الشيء وماهيته: ما به الشيء هو هو)؟. وراجع: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٧١، ٢٧٢.

الظواهر" فيراد به – عند "كانط" –: ما يظهر لنا من موجوداتٍ فى هذا العالَم، وفى فلَك هذا المصطلح – عالَم الظواهر – تدور فلسفة "كانط"[(١)].

وأيضا المحور الذى دارت حوله فلسفة "هوسرل": هو الإدراك الحسىُّ، وقدَّم فيه نظريات طريفة، تذبذَبت بين الواقعية مرةً، والمثالية مرَّات، و((طرافة فلسفة "هوسرل": تجلَّت فى أنها فلسفةٌ بيْنَ بيْنَ؛ بين المثالية والواقعية))[(٢)].

تعقيب على فلسفة هوسرل

إذا كان الهدفُ الأسمَى لـ "هوسرل": إقامةَ علمٍ عقليٍّ شاملٍ، فهل نجح فى ذلك؟ والجواب: يظهر مما يلى:

أولا: أنه بالرغم من جهده الكبير ومحاولاته المتكررة لنقد كثير من الاتجاهات الفلسفية، والطرافة والتجديد البارز فى كثير من جوانب فلسفته – كما سبق عرضُها –، رغم ذلك، ظل فى فلسفته فجوات تمنع من قيامها كفلسفة أصلية؛ لا ترتكز على افتراضات مسبقة، بل التحقيق: أنها تشتمل على مُصادَراتٍ كثيرةٍ، ومَن تتبَّع موقفَه من: النزعة العقلية، وتصوُّره للعلم، وكذا حُكمه على وظيفة الفلسفة ومهمتِها، أدرك هذه المصادرات بوُضوح.

---

(١) راجع: حكمة الغرب، ج٢ ص١٦٣، ١٦٦، ١٦٨-١٧١. كانت أو الفلسفة النقدية، ص١٠٠، ١٥١. قصة الفلسفة الغربية، ص٧٧، ١١٨. دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٦٢، ٢٦٣. المعرفة، ص١٢٧، ١٣٦.

(٢) دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٧٢. وانظر عن موقفه المتأرجح من المثالية: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٩.

ومثال ذلك: أنه كان يسعى إلى إقامة الفلسفة علمًا دقيقًا صارمًا، وقبل أن يشرُع فى وضع خطة لذلك، افترض التوحيدَ بين العلم المطلق والفلسفة(١)، ورأَى هذا التوحيدَ واجبًا وضرورةً، و"هوسرل" بصفته فيلسوفًا، حُرٌّ فى تصور الفلسفة بالكيفية التى يراها، «ولكنه حين يؤكد: أن أىَّ موقف فلسفيٍّ لا يمكن أن يكون مشروعًا، اللهم إلا إذا كان علميًّا، فإنه يحكم بالفناء على الكثير من التصورات الأخرى للفلسفة، و"هوسرل" يقيس أصالة الفلسفة: بمدى يقين أحكامها، فى حين أن غيره من الفلاسفة، قد يقيسون أصالتها، بمدى عُمق نظرتها – أو نظرتها – إلى الوجود»(٢).

ثانيا: ومن عجائب فلسفة "هوسرل" المُلفتة للنظر: سعيه منذ البداية، إلى صبغها بالصبغة العقلية الخالصة، غير أنه فى آخر أمره، «خلع اسمَ "الوجود" على كل ما يتَّسم بصبغةٍ عقليةٍ»(٣)!.

ثالثا: وربما يتسابق إلى الفهم، إحاطة "هوسرل" بآراء الفلاسفة السابقين بدقة، لكن الواقع يثبت أن معرفته بآرائهم لم تكن بقدرٍ كافٍ، بل إنه كان يستخفُّ بتاريخ الفلسفة نفسِها(٤)، ورغم ذلك كان يعتقد اعتقادًا صارمًا، أن تفكيرَه ذو أصالةٍ، وتوهَّم أن الفلسفة قد وُلدت من جديد على يديه!.

رابعا: أن الطابع "التجريدىَّ" متواجدٌ بقوةٍ فى كل عناصر فلسفته، مما يجعلها بعيدةَ الصلة عن الموضوعات الحيوية التى تمسُّ الوجود البشري

---

(١) راجع: أزمة العلوم الأوربية، ص٥٠، ١٨٩، ٢٠٠.

(٢) دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٥٤.

(٣) نفس الصفحة السابقة.

(٤) قارن مثلا: أزمة العلوم الأوربية، ص١٥٣، ١٥٥، ١٦٧.

فى صميمه، وهذا يوقعه فى تناقض؛ خاصة حينما نادى بـ "إصلاح الفلسفة"، على ما سبق توضيحه فى محله. وهذا المأخذ، أخذ تلامذة "هوسرل" على أستاذهم.

لقد استخف "هوسرل" بالإنتاج الفلسفي التاريخي، ووضَعه بين أقواس، وتهرَّب منه، ليبدأ بناءً جذريًّا من جديد، يستند على فكره الخاص، تناقضٌ بيِّنٌ، حاول "هوسرل" نفسه التَّفصِّى منه أواخرَ حياته، لكن لم ينجح، فظلت فلسفته فى كل مراحلها بلا استثناء: لا زمانية، خارجةً عن التاريخ، مما دفع تلامذته للسعي لإقامة منهج فنومينولوچيٍّ جديد، يُفسح بداخله للتاريخ مجالا(١).

خامسا: وامتدادًا لذلك أقول: إن "هوسرل" ركز كلَّ جهوده الفائقة، فى مبحث واحد فقط، هو "الإبستمولوچيا" – المعرفة –، مما دفع تلاميذه إلى مدِّ المنهج الفنومينولوچي إلى مجالات متعددة؛ كمبحث "الاكسيولوچيا" – القيَم –، و"الاستطيقا" – علم الجمال –، وكذا علم الاجتماع، بل وعلم الأديان المقارَن، وغير ذلك، وطبَّقه "ماكس شلر" – التلميذ الأشهر لـ "هوسرل" – طبَّقه على الحياة الوجدانية؛ فوصَف الأخلاقَ والقيم والمحبة وغير ذلك وصفًا فنومينولوچيًّا(٢).

سادسا: إذا كان "هوسرل" يسعى بمنهجه الفنومينولوچيٍّ، إلى تدعيم ذاتية الإنسان، وإنارته بـ "بداهة الموضوعات"، فإن الفنومينولوچيا فشلت فى إنارة "ذاتية" الإنسان، فشوَّه "هوسرل" العلاقة بين الإنسان وعالَمه عندما سعى إلى تحسينها، فحصَرها فى أضيَق المستويات؛ أعنى المستوى

(١) راجع: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٣٥٥، ٣٥٦.
(٢) راجع: السابق نفسه، ص٣٦٩، ٣٧٠، وقارنه، ص٥١٣.

الإدراكي فقط، ولم يعمل على إصلاح هذه العلاقة. وهذا الحصر نتج عنه مشكلات جِسام: تاريخية وثقافية وأخلاقية ودينية وغير ذلك، وعجزت الفنومينولوچيا عجزًا تامًّا عن معالجتها[1].

(١) راجع: مفهوم الروح عند ماكس شلر، ص٤٣-٤٧، ٥٢، ١٣٩، ١٩٠.

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

أهم مصادر البحث ومراجعه:

أولا: مؤلفات ادموند هوسرل:

- **أزمة العلوم الأوربية والفنومينولوچيا الترنسندنتالية مدخل إلى الفلسفة الفنومينولوچيا، ترجمة: د/ إسماعيل المصدق، مراجعة: د/ جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.**
- **مباحث منطقية: الجزء الأول: (مقدمات فى المنطق المحض)، ترجمة موسى وهبة، نشر: كلمة- أبو ظبى- الإمارات، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م. الجزء الثانى: (مباحث فى الفيمياء ونظرية المعرفة)، ترجمة موسى وهبة، نشر: كلمة- أبو ظبى- الإمارات، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.**

ثانيا: مؤلفات أخرى:

بدوي (د/ عبد الرحمن)

- **مدخل جديد إلى الفلسفة، ط١، ١٩٧٥م.**

بوخينسكي (چوزيف)

- **مدخل إلى الفكر الفلسفي، ترجمة وتقديم وتعليق: د/ محمود حمدي زقزوق، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧٣م.**

بوشنسكي (إ. م)

- **الفلسفة المعاصرة فى أوربا، ترجمة: د/ عزت قرني، سلسلة عالَم المعرفة، الكويت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.**

الجمل (د/ أحمد عبده حمودة)

- **نظرات فى الفلسفة الحديثة، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.**

الديدي (عبد الفتاح)

- **النفسانية المنطقية عند جون ستيوارت مل، دار الكاتب العربى، ١٩٦٩م.**

ديكارت (رينيه)

- التأملات فى الفلسفة الأولى، ترجمة: د/ عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م.

رَسْل (برتراند)

- حكمة الغرب، ترجمة: د/ فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة- الكويت (سلسلة عالم المعرفة)، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

زكريا إبراهيم (الدكتور)

- دراسات فى الفلسفة المعاصرة، نشر: مكتبة مصر بالفجالة، بدون تاريخ.

كانت أو الفلسفة النقدية، نشر: مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٢م.

الشنيطي (د/ محمد فتحي)

- المعرفة، دار الثقافة بالقاهرة، ط٦، ١٩٨١م.

صليبا (د/ جميل)

- المعجم الفلسفي، نشر: دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة- بيروت، ١٩٨٢م.

الطويل (د/ توفيق)

- أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، ط٧، ١٩٧٩م.

ظريف حسين (الدكتور)

- مفهوم الروح عند ماكس شلر، دار النهضة العربية، ١٩٩٧م.

كرم (الأستاذ/ يوسف)

- تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط٦، بدون تاريخ.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

موي (پول)

- المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: د/ فؤاد زكريا، راجعه: د/ محمود قاسم، نشر: مكتبة نهضة مصر، ١٩٦١م.

هويدي (د/ يحيى)

- باركلي، دار المعارف، ١٩٦٠م.
- دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٨١م.
- قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٩٣م.
- مقدمة فى الفلسفة العامة، دار الثقافة، ١٩٩٣م.

وولف (الأستاذ)

- فلسفة المحدَثين والمعاصرين، نقله إلى العربية: د/ أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م.

فهرس الموضوعات

تقديم
التعريف بـ "الفنومينولوچيا" أو "المنهج الظاهرى"
أبرز مؤسِّسى المنهج الفنومينولوچي
التعريف بـ "ادموند هُوسِّرل" (١٨٥٩-١٩٣٨م)، وأثره عى الفكر الفلسفي
تطوُّر التفكير الفلسفيِّ لـ "هوسرل"
الأحكام المنطقية فى ضوء نظرية "المعنى القصدي"
المنهج الوصفىُّ عند "هوسرل"
فلسفة "الأشياء ذاتها" عند "هوسرل"
فلسفة "الأشياء ذاتها"، ونظرية المعرفة
تعقيب على فلسفة هوسرل
أهم مصادر البحث ومراجعه
فهرس الموضوعات